دراسة العلاقات الدولية
المقدمات والمفاهيم الأساسية

الدكتور عدنان السيد حسين *

أولا : مقدمات لدراسة العلاقات الدولية

تأخذ مادة العلاقات الدولية اهتماما متزايدا عند الدارسين لعلم السياسة ، لأنها تهتم بمعالجة مجمل الروابط والصلات القائمة بين المؤسسات السياسية والجماعات السياسية على المستوى الدولي . ولابد في دراسة العلاقات الدولية من تمهيد يوضح المقدمات الأساسية التي ساعدت على تبلور هذه المادة في الدراسات الجامعية ، ويساعد على كشف مرتكزاتها وخصائصها العلمية . أنه تمهيد ينطلق من الماضي بما فيه من حوادث تاريخية ، وما يمكن استنتاجه من مبادئ وقواعد ساعدت على تحديد المفاهيم الأساسية للعلاقات الدولية .

ونتناول هنا تاريخ العلاقات الدولية بتكثيف وايجاز ، والارتباط العضوي بين العلاقات الدولية وعلم السياسة في مبحثين هما :

أ – المبحث الأول : في تاريخ العلاقات الدولية .

ب – المبحث الثاني : العلاقات الدولية وعلم السياسة .

---

* استاذ العلوم السياسية والادارية بالجامعة اللبنانية .

(مجلة البحوث والدراسات العربية ، مج ٢٢ ، يوليو / تموز ١٩٩٤ . – ص ص ٩٩ –١٥٠)

أ - فى تاريخ العلاقات الدولية

تتناول مادة العلاقات الدولية مجمل الروابط والصلات القائمة بين الدول بالدرجة الأولى . وإذا كانت العلاقات الدولية قد أخذت تتبلور كعلم فى مجال المعرفة الانسانية خلال القرن العشرين ، إلا أنها كانت قائمة وموجودة منذ أن وجدت المدينة الدولة فى التاريخ القديم عند الشعوب القديمة بدءا بالمدن الفينيقية فى صيدا وصور وغيرهما ، مرورا بالمدن اليونانية وأشهرها أثينا واسبارطة ، وصولا الى المدن الرومانية ، حيث كانت المدينة المستقلة هى الكيان السياسى القائم الذى يحدد اطار الدولة ومعالمها .

ان دراسة العلاقات بين الدول ليست محصورة فى نطاق العلوم المعاصرة ، فلقد نشأت مع عدد من الفلاسفة والمؤرخين القدماء ، وان كانت وصفية وانشائية . وتميزت مجمل الدراسات فى العلاقات الدولية بتركيزها الدائم على وظائف الدولة فى معرفة طبيعة العلاقات الدولية ، خاصة وأن الدولة هى أعلى تنظيم اجتماعى وسياسى توصلت اليه البشرية فى تطورها المستمر (١) .

١ - فى مرحلة ما قبل الميلاد :

ان تلك الدراسات الدوليـة كانت بمعظمها وصفية وانشائية ، أكثر مما كانت علمية وتحليلية . وقد برز فى هذا الميدان وخلال القرن الرابع قبل الميلاد المؤرخ الاغريقى «توكليدس » الذى تحدث عن العلاقات بين المدن اليونانية ، والفيلسوف الصينى «مينسيوس » ، والفيلسوف الهندى « كوتيليا » (٢) ، اللذان وضعا أفكاراً سياسية عامة مبسطة كانت بعيدة عن التعقيد الذى وصلت اليه العلاقات الدولية فى التاريخ الحديث .

وتعتبر الكتابات القديمة التى وصفت الحوادث الدولية ، خاصة فى مجال الحروب والفتوحات ، والتى تركزت فى بـلاد النيل وما بين النهـرين والصـين والهند ، من أهـم

---

(١) كاظم هاشم نعمة ، « العلاقات الدولية » ، الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر فى جامعة الموصل ، ١٩٧٢ ، ص ٢٧ .

(٢) « موسوعة السياسة » ، الجزء الرابع ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨١ ، ص ١٤١ .

الكتابات الدولية القديمة ، قد شكلت وتشكل مصدراً أساسياً من مصادر المعلومات للدارسين فى هذا الحقل (١) ، فذكرت-على سبيل المثال-كيف قامت الروابط والعلاقات بين ملوك بابل ، وكيف تنافست المدن اليونانية فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد - خاصة اسبارطة وأثينا- على التحالف مع ملك الفرس ، وكيف نشطت العلاقات الدبلوماسية بين مصر وسوريا وأوروبا إثر سقوط المملكة اليونانية بقيادة الاسكندر لاقتسام الإرث اليونانى .

وإذا كانت المفاوضات أساس العلاقات الدبلوماسية بين الدول ، فى إطار تسوية المنازعات والصراعات القائمة بينها ، فان العهود القديمة عرفت المفاوضات قبل اللجوء الى استخدام القوة ، أو بعد استخدامها ، هكذا تعامل مجلس الحكماء فى روما ، فى عهد الامبراطورية الرومانية ، مع القضايا والمشكلات الخارجية فكان يوفد المبعوثين الى الفريق الآخر بغية فض النزاع أو تصفية آثاره (٢) .

وقد استفاد الرومان فى هذا المجال التفاوضى - الدبلوماسى - من الخبرات اليونانية فى الاتصالات الخارجية بعدما كان لليونان منذ القرن الخامس قبل الميلاد جهاز منسق لتسيير علاقاتهم الدولية (٣) . ثم أدخل البيزنطيون فن الدبلوماسية الى المدن الايطالية ، ثم الى فرنسا وأسبانيا ، ثم الى كل العالم الأوروبى ، مما عزز دور الدبلوماسية فى العلاقات الدولية ، فضلا عن التطور الذى أصاب الدبلوماسية ذاتها فى مضمونها وفى وسائلها .

٢ - السلام المسيحى :

يتضح مما تقدم أن قضيتى الحرب والسلم هما القضيتان الأبرز فى العلاقات الدولية ، بل هما محور العلاقات الدولية على مر العصور . حتى أن المسيحية

---

(١) The New Emcyclopaedia Britannica , 15 th ed, Chicago : Encyclopaedia Britannica , 1978 . val . 9 , page779.

(٢) د. حسن الابراهيم وأخرون ، « جولة فى السياسة الدولية» ، بيروت ، الدار المتحدة للنشر ، ١٩٧٥ ، ص ١٢ و ١٣ .

(٣) هارولد نيكولسن ، « الدبلوماسية عبر العصور » ، بيروت ، دار الكاتب العربى ، بدون تاريخ ، ص ٨ و ١٦ .

طـرحت بعد ظهورها ما يســمى السـلام المسـيحى انطلاقا من اهتمام الكنيســة المسيحية بفكرة السلام انسجاما مع فكرة المحبة التى تنادى بها . ولما قامت السلطة الروحية المسيحية فى روما ، وتركزت هذه السلطة الروحية فى شخص البابا الذى جمع السلطتين الروحية (الدينية) والزمنية (الدنيوية) ، برز سلطان الكنيسة ، وظهر دورها الكبير جليا فى كل أوروبا ، وازداد هذا الدور تدريجيا الى أن بلغ ذروته فى القرون الوسطى إبان الحروب الصليبية تحت ستار التعصب للكنيسة ، ثم تراجع وانحسر بعدما وقع الانقسام بين البابا والملوك الأوروبيين ، فاصطدمت القوانين الزمنية والروحية وتصارعت فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، مما أدى الى تراجع نفوذ البابا والملوك معا ، والى انهيار السلام المسيحى [1] خاصة بعدما ارتكبت مظالم كثيرة فى أوروبا تحت ستار الكنيسة وباسمها ، وبعدما تعرض الفكر الانسانى للحصار والضغوطات ، مما مهد لاحقا للانقلاب على سلطان الكنيسة الأوروبية .

٣ - السلام الاسلامى :

كذلك ، حدد الاسلام إطارا عاما للسلام بين البشر ، منطلقا من اعتبار السلم أساس العلاقات الانسانية ، ومن رفضه للعدوان ، وقد ورد فى القرآن الكريم :

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » [2]

ومن خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يمكن اسـتنتاج جملة مبادئ - دعائم- للعلاقات الانسانية ، كالتأكيد على الكرامة الانسانية ، وعلى التعاون الانسانى، وعلى التسامح ، وعلى العدالة ، وعلى الحرية ، وعلى الفضيلة ، وعلى الوفاء بالعهد [3]. ومجمل تلك المبادئ العليا لا تتكرس إلا فى حال السلم ، وقد جاء فى القرآن الكريم :

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » [4] .

---

(١) د . أحمد سويلم العمرى ، « أصول العلاقات السياسية الدولية » ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٩ ، ص ١٤٣ - ١٤٧ .

(٢) قرآن كريم ، سورة البقرة ، آية ١٩٠.

(٣) محمد أبو زهـرة ، « العلاقات الدولية فى الإسلام » ، القاهرة ، الدار القـومية للطباعة والنشر ،١٩٦٤ ، ص ١٩-٤٦ .

(٤) قرآن كريم ، سورة الأنفال ، آية ٦١ .

وكل ذلك يأتى ليؤكد على أولوية السلم فى العلاقات الدولية ، وفق معايير واضحة حددها الفقه الاسلامى على قاعدة الايمان بالله سبحانه وتعالى .

ومن خلال تاريخ الحضارة العربية - الاسلامية ، نجد مقدمات أساسية للعلاقات السياسية الدولية ، قامت على أعلى المستويات الدولية إبان انطلاقة وتقدم تلك الحضارة . فمن العلاقات السلمية بين الرسول صلى الله عليه وسلم وممثلى الاقباط المصريين وما تخللها من تعاون ، الى علاقات حسن الجوار بين العرب فى الاندلس وبين أوروبا وما فيها من تبادل للمنافع والعلوم ، الى التعامل السلمى بين هارون الرشيد والامبراطور الأوروبى « شارلمان » فى وقت كانت تعيش فيه أوروبا مراحل التخلف السياسى والاجتماعى (١) . وغيرها من النماذج التى تدلل على أهمية السلم الاسلامى ، وما ولده من تأثيرات فى مضمار العلاقات الدولية خاصة فى العصور الوسيطة .

٤ - معاهدة وستفاليا :

يجمع الدارسون لتطور العلاقات الدولية على أهمية معاهدة « وستفاليا » المعقودة سنة ١٦٤٨ بين القوى الأوروبية المتصارعة ، فى اطلاق ما سمى فكرة الدولة القومية فى العلاقات الدولية . حيث أن تلك المعاهدة أنهت النظام الامبراطورى المسيحى الذى ساد فى القرون الوسطى ، لتستبدله باتحاد بين الدول الجرمانية بعد شطر أوروبا الوسطى الى دول كاثوليكية وأخرى بروتستانتية ، بحيث تحقق الأمن بين الامارات الالمانية التى فاق عددها مئة وخمسين امارة داخل الامبراطورية الجرمانية . وبذلك تراجع تأثير الكنيسة التى فقدت كثيرا من أملاكها فى الأراضى الأوروبية ، وقام نوع من التوازن فى القوى بين عدد من الدول المستقلة ذات الطابع المدنى لا الدينى (٢) .

أقرت هذه المعاهدة مبدأ المساواة بين الدول بمعزل عن نظمها الداخلية ، وأدت الى تراجع سلطان البابا والقوى الدينية المحيطة به ، وأخذ التطور يظهر فى النشاط

---

(١) « أصول العلاقات السياسية الدولية » ، م . س ، ص ٥٠ و ٥١ ، ١٣١ .

(٢) م . س . ، ص ١٥٦ - ١٥٨ .

الدبلوماسى ، وفى انطلاقة القانون الدولى ، وفى تنظيم العلاقات الدولية الاوروبية عبر تحالفات سريّة وعلنية ، وعبر اتفاقات حسن الجوار بين الدول المتعاقدة . وبذلك مهّدت معاهدة « وستفاليا » لاحقا الى مزيد من التطورات الدولية خاصة على الصعيد الأوروبى .

٥ - العلاقات الدولية والتاريخ الدبلوماسي :

يتضح مما تقدم أن هناك علاقة وثيقة بين دراسة التاريخ وبين دراسة العلاقات الدولية ، ويشتركان معا فى تناول العلاقات بين الدول ، لكنهما يختلفان فى الأهداف . فالتاريخ الدبلوماسى مثلا ، يرتكز على عرض تطور الحوادث والمفاوضات ، بينما تتناول العلاقات الدولية أسباب تلك الحوادث وتدرس العوامل المؤثرة فى صنعها (١) . أى أن التاريخ الدبلوماسى يحصر مهمته فى الزمان فيسجل الحوادث دون العناية بالكشف عما قد تنطوى عليه من انتظام ، وبالتالى فانه غير معنى بتوقّع ما قد يحدث ، بينما نجد العلاقات الدولية تهتم بالتكهن للمستقبل على قاعدة معرفة الماضى وكشف حقائقه بعمق . وبذلك ، يساعد التاريخ الدبلوماسى مادة العلاقات الدولية ويكوّن أساساً ضرورياً لها لما يقدم من معلومات ، فالتاريخ الدبلوماسى يعرّف بحوادث الواقع ، والعلاقات الدولية تتصدى لتفسير تلك الحوادث بما فيها من دلالات هامة (٢) .

ويدافع المؤرخون عن تأثير التاريخ ودوره فى تفسير العلاقات الإنسانية ، لأنه يهتم بكشف الماضى . ومعرفة الماضى ضرورية لتوقع المستقبل ، وما قد يحمله من تطورات جديدة ، أو ما قد يؤكده من انتظام معين حصلت معرفته . إذ أن « كل مشكلة من المشكلات التى تعترض الانسانية فى هذه الفترة الحاسمة من حياتها لها جذورها ، وأسبابها المغروسة فى التراث الذى

---

(١) لويس دوللو ، « التاريخ الدبلوماسى » ، ترجمة د . سموحى فوق العادة ، بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٧٠ ، ص ٧ .

(٢) د . محمد طه بدوى ، « مدخل الى علم العلاقات الدولية » ، بيروت ، الدار المصرية للطباعة والنشر ، ١٩٧١ ، ص ٧٦ و ٧٧ .

تسلمته من الأجيال السابقة ، والذى يفعل فيها كما تفعل هى أيضا فيه ..... » (١) .

ب - العلاقات الدولية وعلم السياسة

تعتبر الدولة محور دراسة علم السياسة ، والدولة هى أساس الفكر السياسى منذ التاريخ القديم وحتى التاريخ المعاصر . وقد اعتبر رائد الفكر السياسى فى التاريخ القديم الفيلسوف اليونانى « أرسطو » أن الدولة هى التى تنقل المجتمع البشرى من الفوضى العامة الى حالة الائتلاف والاجتماع (٢) .

ورغم تنوع وتعدد اتجاهات الفكر السياسى ، بقيت الدولة محور السياسة ، حتى أن بعض علماء السياسة المعاصرين يعتبرون ان « علم السياسة هو علم حكم الدول » (٣) .

١ - العلاقات الدولية فرع من علم السياسة :

انتقل الفكر السياسى تدريجيا من مجرد الأساطير والأفكار المثالية الى حقيقة العلم ، ولم تتحول السياسة الى علم قبل القرن التاسع عشر ، حيث أخذ علم السياسة يدرّس فى المعاهد والجامعات ، وأخذت قواعد هذا العلم تتحدّد بحيث صار علم السياسة يتناول : تاريخ الأفكار السياسية ، والنظم السياسية ، والحياة السياسية ، والعلاقات الدولية . كما اتفق خبراء « اليونسكو » فى عام ١٩٤٨ (٤) .

---

(١) د . قسطنطين زريق ، « نحن والتاريخ » فى : د . بشير العريض ، محاضرات عن « تطور الأحداث » ، بيروت ، كلية الحقوق والعلوم السياسية فى الجامعة اللبنانية ، ١٩٦٧ ص ١ .

(٢) د . محمد طه بدوى ، « أصول علم السياسة » ، الاسكندرية ، المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ ، ص ٧٠ .

(٣) Marcel Prelot , La science politique , Paris , que sais- je , presses universitaire de France 1963. p.8 (no.909).

(٤) La science politique contemporaine , Contribution á la recherche de la méthode , et l'enseignement , unesco , publication No.427,1950,p.4.

وعلى ذلك ، يتناول علم السياسة (المجتمع السياسى) حيث توجد الدولة التى ترعى تنظيم المجتمع سياسيا . وبينما يتناول علم السياسة المجتمع السياسى داخل الدولة ، فان العلاقات الدولية تتناول العلاقات بين مجتمعات سياسية متعددة ، أو بين دول متعددة .

وإذا كان المجتمع السياسى يضم المجموع البشرى الذى يكوّن الجماعة الوطنية ، فان المجتمع الدولى يضم مجموع الدول الذى يكّون الجماعة الدولية ، أو ما يسمّى المجتمع الدولى .

غير أن علم السياسة سبق ظهوره فى الزمان ظهور ما يمكن تسميته بعلم العلاقات الدولية . لكن تبقى العلاقات الدولية جزءا من علم السياسة ، أو أن مادة العلاقات الدولية هى فرع من علم السياسة ، وهما من المواد الحديثة العهد فى الدراسات الأكاديمية الجامعية . والسبب الأساسى الذى يقرر أن العلاقات الدولية هى جزء من علم السياسة يعود الى كون العلاقات الدولية قائمة بين وحدات بشرية سياسية ، أى بين دول ، والدول هى وحدات سياسية داخل المجتمع الدولى .

٢ – فى منهج دراسة العلاقات الدولية :

اذا كانت العلاقات الدولية قد أخذت تتجه نحو التنظيم فى أواخر القرن التاسع عشر ، بغية توطيد التفاهم والتعاون بين الدول . وإذا كانت تلك العلاقات قد شهدت محاولات حثيثة من بعض القادة السياسيين لمزيد من التنظيم ، كعقد المؤتمرات والاجتماعات الدولية ، وفى طليعة هذه المحاولات جهود قيصر روسيا لتنظيم العلاقات الدولية الأوروبية ، إلا أن الانطلاقة الفعلية للعلاقات الدولية باتجاه وضع قواعد سياسية علمية لها قد حدثت فى القرن العشرين ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وما نتج عنها من ويلات ودمار ، ومن رغبة انسانية فى تعزيز أجواء الأمن والسلم فى العالم .

لذلك يمكن القول بأن العلاقات الدولية كمجال معرفى هى معاصرة فى مفاهيمها وفى المناهج العلمية التى تتناولها بالدراسة والبحث .

وهناك منهجان رئيسيان فى دراسة العلاقات الدولية : (منهج مثالى – فلسفى ينطلق من مقدمات عقيدية أو ميتافيزيقية ثابتة ، أى أنه منهج يحدد (ما يجب أن تكون

عليه الدول والعلاقات الدولية) ، حتى تصبح تلك العلاقات فاضلة أو مثالية . وقد ظل هذا المنهج مسيطرا فى الماضى وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، وظل يدور حول مبدأ نبذ الحرب وطلب السلم .

ومنهج واقعى معاصر ، ينطلق من استقراء علمى لحوادث الواقع ، محاولا الربط فيما بينها ، ومعتبرا أن المجتمع الدولى يقوم على دول مستقلة . انه منهج يحدّد (ما هو قائم من واقع الدول والعلاقات الدولية) ، وقد انصبت جهود العلماء الأمريكيين المعاصرين حول هذا المنهج ، وفى مقدمتهم أستاذ العلاقات الدولية «هانس مورغانثو» (Hans Morganthau) (١) .

واذا كان المنهج المثالى قد أغرق فى دراسة (ما يجب أن تكون) عليه العلاقات الدولية ، دون الالتفات الى الدراسة العلمية التجريبية لواقع الدول وعلاقاتها المتشعبة ، فإن المنهج الواقعى قد حصر دراسته فى (ما هو كائن) من علاقات دولية ، مما أدّى تباعا الى اسقاط عامل القيم ، والى التمسك فقط بعامل القوة كأساس فى العلاقات الدولية .

ومهما يكن من أمر المناهج المعتمدة فى دراسة العلاقات الدولية ، فان مجمل الدراسات والتحليلات العلمية حول العلاقات الدولية مازالت معاصرة ، وهى قاصرة – حتى الآن – فى كثير من جوانبها عن تفسير كل الظواهر الدولية . خاصة وأن دراسة العلاقات الدولية تدور حول العلاقات السياسية بالدرجة الأولى ، وعلم السياسة يندرج فى اطار العلوم الاجتماعية التى تتناول علاقات ووقائع بشرية ، بكل ما فيها من تعقيدات وتشعبات علمية متعددة ومرتبطة بمجمل العلوم والمعارف الانسانية .

٣ – تعريف العلاقات الدولية :

تعدّدت تعريفات العلاقات الدولية، وهى فى معظمها مازالت معاصرة ، وقد وضعت بعد الحرب العالمية الثانية، وتعكس تشعب مضمون العلاقات الدولية، وغموضه فى آن معا

---

(١) د . الحسان بوقنطار ، « العلاقات الدولية » ، الدار البيضاء ، دار توبقال للنشر ، ١٩٨٥، ص ١٩ و ٢٠ .

ولما اجتمعت نخبة من علمـــاء السياسة فى دار « اليونسكو » بباريس فى أيلول (سبتمبر) ١٩٤٨ ، حدّدت موضوعات العلاقات الدولية بما يأتى :

- السياسة الدولية .
- التنظيمات والادارات الدولية .
- القانون الدولى (١) .

السياسة الدولية تعنى العلاقات السياسية السائدة فى المجتمع الدولى ، والتى ندرسها غالبا من خلال دراسة السياسات الخارجية للدول .

والتنظيمات والادارات الدولية هى التى نشأت بعد الحربين العالميتين فى القرن العشرين ، وفى طليعتها عصبة الأمم والأمم المتحدة . وفى أساس نشأتها الحفاظ على الأمن والسلم الدوليين .

أما القانون الدولى فهو مجمل القواعد القانونية التى تحكم العلاقات بين الدول ، والناتجة عن الأعراف والمعاهدات الدولية . وبذلك يبحث القانون الدولى فى الروابط القانونية ، بينما تبحث السياسة الدولية فى الظواهر السياسية القائمة فى المجتمع الدولى . وكلاهما مكمل للآخر فى مجال الدراسة ، وهما يبحثان فى مجال واحد هو مجال العلاقات بين الدول .

فى مجال تحديد موضوعات العلاقات الدولية ، أكدّ المؤتمران الدوليان فى لاهاى سنة ١٩٥٢ ، وفى استوكهولم سنة ١٩٥٥ ، على ما كان قد حدّده علماء « اليونسكو » سنة ١٩٤٨ (٢) . فى وقت أخذ فيه تعبير السياسة الدولية يطغى على مادة العلاقات الدولية ، ويستخدم فى المحافل الدولية ، وفى الخطاب السياسى الخارجى عند الدول .

« الموسوعة البريطانية » تعطى تفسيراً لتعبير العلاقات الدولية بأن « المفهوم الأكثر شيوعا هو العلاقات بين حكومات دول مستقلة .... ، ويستعمل كمرادف فى المعنى للسياسة الدولية » (٣) .

---

(١) د . حسن صعب ، « علم السياسة » ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٢ ، ص ١٣٢ .

(٢) « أصول العلاقات السياسية الدولية » ، م . س ، ص ٦ .

(٣) The New Encyclopaedia Britannica, I bid, p.778.

وهذا ما يبين أهمية دور الدول المستقلة فى تحديد إطار ومضمون العلاقات الدولية ، كما يبين مدى اتساع استعمال تعبير السياسة الدولية .

الاستاذة الدكتورة عائشة راتب تحدّد إطار العلاقات الدولية بقولها :

« تظهر العلاقات المتبادلة بين الدول فى المحيط الخارجى فى صور ثلاث : عقد المعاهدات ، المفاوضة ، الحرب أو بمعنى أدق استخدام القوة » (١) . أى أن اطار العلاقات الدولية هو الحرب والسلم .

الاستاذ الدكتور محمد طه بدوى يعَرف العلاقات الدولية بأنها « العلم الذى يُعنى بواقع العلاقات الدولية واستقرائها بالملاحظة والتجريب ، أو المقارنة من أجل التفسير والتوقع » (٢) . وفى هذا التعريف تفسير علمى للعلاقات الدولية مع رسم لغايتها الأساسية فى تفسير وتوقّع الظواهر السياسية الدولية .

رغم تعدد التعريفات ، فإن قضيتى الحرب والسلم هما المضمون الأبرز للعلاقات الدولية ، وهما محور السياسة الدولية منذ القدم . ذلك لأن قضية العلاقات السلمية بين المجتمعات البشرية ، وبين الدول ، وعند المنظمات الدولية هى الحافز الأبرز لتحديد مضمون واطار العلاقات الدولية ، وفى لغة القانون الدولى تتمحور العلاقات الدولية بين أشخاص القانون الدولى العام ، أى بين الدول والمنظمات الدولية (٣) .

ان دراسة القانون الدولى هى دراسة قانونية ، بينما تقع دراسة السياسة الدولية فى الاطار السياسى ، وتتداخل معها دراسة السياسات الخارجية للدول ، والصلات القائمة بين الجماعات السياسية المختلفة الموجودة فى المجتمع الدولى . لذلك فان بحثنا

---

(١) د . عائشة راتب ، « العلاقات الدولية العربية » ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠ ، ص ٧ .

(٢) « مدخل الى علم العلاقات الدولية » ، م . س . ص ٧٥ .

(٣) حدد فقه القانون الدولى أشخاص القانون الدولى العام بالدول ، وأضاف عليها المنظمات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية وقيام منظمة الأمم المتحدة .

يراجع : محمد سامى عبد الحميد ، « أصول القانون الدولى العام » ، بيروت ، مكتبة مكاوى ، ١٩٧٧ ، ص ١٨٥ .

يقتصر فى دراسته على العلاقات السياسية الدولية ، أو بتعبير آخر على السياسة الدولية ، وما فيها من مفاهيم أساسية صاحبت تطور العلاقات الدولية ، وخاصة فى القرن التاسع عشر . إنه بحث يتمحور حول قضيتى الحرب والسلم ، وهما المضمون الأبرز للعلاقات الدولية فى جميع مراحلها التاريخية .

ثانياً : دراسة فى الحرب والسلم

دارت العلاقات السياسية الدولية حول قضيتين أساسيتين هما : قضية السلم ، وقضية الحرب . وشكلتا مضمون هذه العلاقات ، لأنهما واكبتا قيام الدول وتطورها ، وارتبطتا بمصير الدول والأمم .

مع تطور الفنون والعلوم الحربية برز ما سمى فن الاستراتيجية ، بمثل ما برز فن الدبلوماسية فى حالة السلم . وشكلت كل من الدبلوماسية والاستراتيجية أساسا ثابتا من أسس العلاقات السياسية الدولية ، وظهرت آراء ومفاهيم متعددة حيال هذين الأساسين . وسنتناول دراسة الحرب والسلم من خلال مبحثين هما :

أ - المبحث الأول : الحرب والاستراتيجية.

ب - المبحث الثاني : السلم والدبلوماسية .

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF THE ARAB RESEARCH AND STUDIES
مكتب اتحاد المجالس العربية

أ - الحرب والاستراتيجية

شهدت الممالك والامبراطوريات القديمة الحروب فى مراحل قيامها وتطورها، ولطالما كانت الحرب دائرة فى مواطن الحضارات القديمة ، فى وادى النيل وبلاد ما بين النهرين وبلاد فارس وبلاد الاغريق أو اليونان . ولطالما كانت قبائل المناطق الشمالية الباردة تتجه نحو المناطق المعتدلة فى حوض البحر المتوسط حيث الزراعة والحركة التجارية، فكانت تدور الحروب بين القبائل الغازية والقبائل المدافعة عن مواطنها وثرواتها.

إن أقسى أنواع الحروب شهدتها أوروبا فى مرحلة ما قبل الميلاد ، حيث تطاحنت المدن اليونانية ، وخاصة أثينا واسبارطة ، مما أدى الى اضمحلال دور أثينا . ثم دارت الحرب بين روما وقرطاجة واستمرت أجيالا بغية السيطرة على البحر المتوسط . وبعد ظهور المسيحية ، تصدّت لها الوثنية الأوروبية وشهدت أوروبا أوضاعا رهيبة سفكت فيها دماء غزيرة ، ثم عادت المسيحية لتنتشر فى الامبراطورية الرومانية ، وقد فرض الامبراطور شارلمان المسيحية بالقوة على السكسونيين الأوروبيين فى وقت كانت امبراطوريته تشمل فيه معظم أراضى أوروبا .

كما شهدت أوروبا المنازعات والحروب الدينية فيما بعد ، بين الكاثوليك والبروتستانت ، وبلغت حداً رهيباً من الاضطهادات الدينية القاسية فى القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر الميلادية . ولما توقفت هذه الحروب الدينية ، ابتدأت الحروب الاستعمارية التى شنها الأوروبيون ضد شعوب أسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وقد سميت بحروب الفتح ، تعبيراً عن رغبة الأوروبيين فى فتح البلاد البعيدة والمجهولة سعياً وراء المواد الأولية والأسواق التجارية والسيطرة الاستعمارية على حساب الشعوب . وقد كانت هذه الحروب الاستعمارية دافعا نحو قيام حروب التحرر والاستقلال التى شنتها الشعوب المستعمرة ضد الجيوش الغازية فى مراحل لاحقة .

١ - المفهوم الغربى للحـــرب :

اعتبر الفكر اليونانى القديم أن الحرب هى حالة طبيعية تنشأ بين الجماعات السياسية ، وقد قال الفيلسوف « أفلاطون » :

« الحرب هى الحالة الطبيعية لعلاقات كل جماعة من الجماعات السياسية بجماعة أخرى » (١) . وفى ذلك ليس تبريراً للحرب وحسب ، بل واعتبارها حالة طبيعية أيضا .

انسجاما واتصالا مع الفكر اليونانى ، استمر الفكر الأوروبى والفكر الغربى . بوجه عام – مع هذا الاتجاه فى تبرير الحرب واعتبارها حالة طبيعية . هكذا اعتبر المفكر السياسى الايطالى « ميكافيللى » فى القرن الخامس عشر أن هناك ارتباطا وثيقا بين السياسة والحرب ، بل انه من الضرورى أن يكونا فى اتحاد قوى ، يقول « مكيافيللى » فى كتابه « فن الحرب » :

« اننا نجد صلات وثيقة قوية بين هاتين الحالتين أو الحياتين – السياسة والحرب – وانهما ليستا فقط تكملان بعضهما البعض ، بل إنه من الضرورى أن ترتبطا ارتباطا وثيقا وأن تتحدا معا اتحاداً قويا » (٢) .

ويدعو « ميكافيللى » القادة السياسيين الى اتقان فن الحرب ، لأن فى هذا الاتقان وسيلة الحفاظ على الحكم ، يقول فى كتابه « الأمير » :

« الحرب هى الفن الوحيد الذى يحتاج اليه من يتولى القيادة ، وكثيرا ما يرى الانسان أن الأمير الذى يفكر بالترف أو الرخاء ، أكثر من تفكيره بالسلاح ، كثيراً ما يفقد امارته » (٣) .

وينحو المفكر السياسى الفرنسى « فرنسوا فولتير » فى القرن الثامن عشر ، منحى « ميكافيللى » فيعتبر أن السلام فكرة خيالية – مثالية – ويبرر استخدام القوة فى العلاقات بين البشر قائلا :

«ان فكرة سلام دائم كالفكرة الخيالية ، ومن الصعوبة بمكان منع الناس من الاقتتال شأنهم شأن الذئاب والحملان ، إذ يتعذر منع الذئاب من افتراس الحملان » (٤) .

---

(١) « أصول العلاقات السياسية الدولية » ، م . س ، ص ١١٧ .

(٢) ادوارد ميدا يرل وآخرون « رواد الاستراتيجية الحديثة » ، ترجمة محمد عبد الفتاح إبراهيم ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٦ ، ص ٢١ .

(٣) ميكافيللى ، « الأمير » ، تعريب خيرى حماد ، بيروت ، المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر ، ١٩٦٠ ، ص ١٣٨ .

(٤) « أصول العلاقات السياسية الدولية » ، م . س ، ص ١١٧ .

ويستمر الفكر السياسى الغربى فى تبرير الحرب واعتبارها حالة طبيعية ، وصولا الى القرن العشـرين ، حيث يعتبر أستاذ العلاقات الدولية الفرنسى « ريمون آرون » أن الحرب هى « عمل من أعمـال العنف ، نستهدف به اكراه الخصم على تنفيذ ارادتنا » (١) . بذلك تصبح الحرب وسيلة سياسية ، أو هدفا سياسيا ، تبرر اللجوء اليها الارادة الذاتية .

هكذا ، يسـتمر المفهوم الغربى للحرب قائما على اعتبارها حالة طبيعية تنشأ بين الجماعات ، وأن الحرب هى وسيلة من وسائل السـياسة بغية تحقيق أهداف سياسية. مما مهّد ويمهّد لاعتماد فكرة القوة مفهوماً أسـاسياً من مفاهيم العلاقات الدولية .

٢ - المفهوم الاسلامى للحـرب :

أساس العلاقات الدولية فى الاسلام هو السلم ، والدعوة الى إقامة العلاقات الودية مع الأمم الأخرى التى تريد السلم أو تقبل به ، انطلاقا مما دعا اليه القرآن الكريم ، فقد ورد فى إحدى آياته :

« يا أيها الذين آمنوا أدخلوا فى السلم كافة » (٢) .

أما الحرب ، فلها ما يسوّغ وقوعها . وقد وردت كلمة الحرب فى القرآن الكريم بمعنى القتال مع العدو الذى قام بتنفيذ العدوان ، أو قيّد النـاس فى حريتهم الدينية ، ومنعهم من الدعوة الى تعاليم الدين الاسلامى . والحرب هنا تختلف عن الجهاد ، فى كون الجهاد قد يكون سلميا ، أى ليس قتاليا ، فالدعوة بالكلمة والاقناع هى نوع من الجهاد (٣) .

لعلّ أبلغ ما عرفه الفكر العربى فى تحديد معنى الحرب ، جاء فى مقدمة عبد الرحمـن بن خلدون ، التى تحدثـت فى فصل « الحروب ومذاهب الأمم وترتيبها » عن

---

(١) « مدخل الى علم العلاقات الدولية » ، م . س . ، ص ٣٥ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة البقرة ، آية ٢٠٨ .

(٣) تيسير العمر ، « العنف . الحرب والجهاد » (رسالة جامعية) ، بيروت / كلية الامام الاوزاعى للدراسات الإسلامية ، ١٩٩٠ ، ص ١٧ .

أصل الحرب وأسبابها ، وعن حروب البغى وحروب الجهاد والعدل . يقول ابن خلدون فى أصل الحرب :

« إعلم أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة فى الخليقة منذ براها الله . وأصلها ارادة انتقام بعض البشر من بعض ويتعصب لكل منها أهل عصبيته » (١) . فارادة الانتقام بين البشر هى أصل الحرب ، ولكن ما هى أسباب تلك الارادة الانتقامية ؟ . يجيب ابن خلدون :

« وسبب هذا الانتقام فى الأكثر إما غيرة ومنافسة ، واما عدوان ، واما غضب لله ولدينه ، واما غضب للملك وسعى فى تمهيده » (٢) .

حروب الغيرة والمنافسة ، وحروب العدوان ، هى حروب بغى وفتنة . أما الصنفان الأخيران ، وهما حروب الجهاد والدفاع عن الدول ، فانهما حروب جهاد وعدل ، كما يقول ابن خلدون . بذلك نجد ضوابط للحرب ، هل هى حرب عدل أم هى حرب عدوان ؟

على رغم الاختلاف فى الدين ، ورغم ضراوة الحروب الصليبية ، أقيمت أفضل العلاقات التجارية بين العرب وبين المدن الأوروبية ومنها جنوه والبندقية . بعدما كان العرب قد نقلوا العلوم والفنون بواسطة مدارس الاندلس الى أوروبا ، مما يؤكد على قيام حالة السلم وعلى التعاون الحضارى الانسانى فى ظل الاسلام ، بعد وقف القتال مع العدو ، أى بعد تحقيق الأمان ، والأمان كما يعرّف فى التراث العربى الاسلامى هو « عقد يفيد ترك القتل والقتال مع الحربيين » (٣) .

أى أن الأمان هو المقدمة لتحقيق الهدنة والصلح مع العدو ، ويفيد إنهاء العمليات القتالية أو الحربية .

على صعيد آخر ، يدعو الاسلام الى منح العهد لأهل الكتاب داخل الدولة لأن يعيشوا بسلام وطمأنينة . وقد أعطى الرسول -صلى الله عليه وسلم- نصارى نجران

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، بيروت ، دار القلم ، ط ٤ ، ١٩٨١ ، ص ٢٧٠ و ٢٧١ .
(٢) م . س . ص ٢٧١ .
(٣) الخطيب الشربينى ، مغنى المحتاج، ج ٢ ، القاهرة ، دار الاستقامة ، ١٩٥٥ ، ص ٢٣٦ .

العهد بأن يعيشـوا بسلام ، وعقد أبو عبيدة بن الجراح صلحا مع أهالى حمص من غير المسلمين إبان الفتح العربى الاسلامى لبلاد الشام ، وفى كتاب الرسول -صلى الله عليه وسلم- الذى وجهه ليهود الجزيرة العربية ، والذى ثُبت فيهم أمانهم وسلامهم ، ما يبين حقيقة العهد وعمق مضمونه ، جاء فى هذا الكتاب :

« لكم ذمة الله وذمة رسوله على أنفسكم ودينكم وأموالكم ورقيقكم ، وكل ما ملكت أيمانكم ، لا يطأ أرضكم جيش ، ولا تحشدون ولا تحشرون ، ومن سافر منكم فهو فى أمان الله وأمان رسوله » (١) .

أما فى تنظيم الأعمال الحربية ، فقد دعا إليها الاسلام وأعطاها مضمونا هاما قبل أن ينشأ القانون الدولى الحديث والمعاصر بقرون ، انطلاقا من فهم الاسلام للحرب ، وأنها ليست غاية فى حد ذاتها ، ولا هى وسيلة للنيل من انسانية البشر . فالأعمال الحربية محصورة فى مكانها داخل ميدان القتال لا تتجاوزه الى المناطق المجاورة ، والقتال يدور فقط مع المقاتلين المشتركين فى الحرب ، فلا اعتداء على الحرية الدينية لأحد ، ولا اعتداء على رجال الدين والأولاد والشيوخ والنساء ، ولا تخريب فى الممتلكات والأرزاق ، ولا تمثيل بجثث القتلى ، ولا انتقام من الأسرى ولا استرقاق لهم ، فالأسير يفتدى أو يطلق سراحه، وإذا انتهت الحرب بصلح دائم ، فلا يجوز نقض الصلح ، لأن نقضه مخالف للوفاء بالعهد (٢) .

وفى وصية أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - للقائد الحربى قبل توجهه الى الحرب . ما يؤكد الضوابط والقواعد الحضارية الانسانية ، قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه :

« إنى موصيك بعشر : لا تقتلن امرأة ، ولا صبيا ، ولا كبيرا هرما ، ولا تقطعن شـجرا مثمرا ، ولا نخـلا ، ولا تحرقها ، ولا تخـربن عامرا ، ولا تعقرن شـاة إلا لمأكلة ، ولا تجبن ، ولا تفلل » (٣) .

من هنا ، فإن المفهوم الاسلامى للحرب ليس تبريريا لوقوعها ، فاللجوء الى الحرب يكون عند الضـرورة ، وللحـرب أحكـام وضـوابط وقواعد انطـلاقا من رسـالة

---

(١) « العلاقات الدولية فى الاسلام » ، م . س . ص ٧٦ .
(٢) تراجع « العلاقات الدولية فى الاسلام » ، م . س . ص ٩٦ - ١١١ .
(٣) م . س . ص ٤٥ .

الاسلام وموقفها من الإنسان والإنسانية ، والقاعدة القرآنية تقول : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم » (١) .

٣ - بين الحـرب والصراع :

مهما تعددت تعريفات الحرب عند فقهاء القانون والسياسة ، فإن الحرب تحمل معنى القتال المسلح ، أو المواجهة المسلحة بين طرفين ، أو مجموعة أطراف دولية . وان كانت أسباب الحروب كثيرة ومتشعبة ومختلفة .

من هذه التعريفات ، « الحرب هى التصـادم الفعلى بوسـيلة العنف المسلح حسـما لتناقضات جذرية لم يعد يجدى معها استخدام الأساليب الأكثر والأقل تطـرفا . ومن هنا فإن الحـرب المسـلحة تمثل نقطة النهـاية فى بعض الصـراعات الدولية (٢) . أى أن الحرب تقع عندما تفشل الأساليب السياسية فى حل التناقضات بين الدول .

أو أن « الحرب فى الاصطلاح الدولى ، صراع مسلح بين دولتين أو فريقين من الدول ينشب لتحقيق مصالح وطنية ، والحرب من حيث الواقع حالة قانونية معترف بامكان قيامها » (٣) هنا تقف المصالح الوطنية وراء نشوب الحرب .

أو أن الحـرب هى « نضـال مسـلح بين القوات المسـلحة لكل من الفريقـين المتنازعين ، يرمى كل منهما الى صيـانة حقوقه ومصـالحه فى مواجـهـة الطرف الآخر» (٤) . أى أن الحرب هى وسيلة لصيانة الحقوق والمصالح عند كل طرف .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة البقرة ، آية ٢١٦ .

(٢) د . اسماعيل صبرى مقلد ، « نظريات السياسة الدولية » ، الكويت ، جامعة الكويت ، ١٩٨٢ ، ص ٢١٣ .

(٣) أحمد عطية الله ، القاموس السياسى ، ط ٣ ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٨ ، ص ٤٤٢ .

(٤) على صادق أبو هيف ، القانون الدولى العام ، ١٩٥٩ ، ص ٧٧٩ .

د . محمد المجذوب ، محاضرات فى القانون الدولى العام ، بيروت ، كلية الحقوق والعلوم السياسية فى الجامعة اللبنانية ، ١٩٧٨ ، ص ٢٧٣ .

أو أن الحرب « ناجمة عن اصطراع مسلح بين الدول بقصد فرض احداها ، أو مجموعة منها لوجهة نظرها بالقوة على الدولة أو الدول الأخرى» (١) . بذلك ترمى الحرب الى فرض ارادة الدولة بالقوة على ارادة دولة أو دول أخرى .

نستنتج من ذلك ، أن الحرب فى السياسة الدولية هى ظاهرة مرافقة للعلاقات الدولية ، وهى وسيلة تلجأ اليها الدولة لتحقيق غاية سياسية تستخدم فيها القوة المسلحة .

وهناك فارق أساسى بين الحرب والصراع . فالصراع هو تنازع الارادات الوطنية والقومية ، وهو ناتج عن الاختلافات والتناقضات بين أهداف الدول وامكاناتها . والصراع لا يتخذ شكل المواجهة المسلحة ، وإن كانت تتعدد أشكاله ومظاهره ، كأن يكون سياسيا ، أو اقتصاديا ، أو دعائيا ، أو تكنولوچيا . والصراع تتعدد وسائله ، كأن تكون حصارا ، أو تهديدا ، أو تحالفا ، أو تحريضا ، أو ضغطا (٢) . والصراع تتعدد أسبابه ، كأن تكون سياسية أو اقتصادية أو استراتيچية ، أو اجتماعية . فى مجمل مظاهر الصراع ، لا تقع الحرب ، وإن كان الصراع قد يقود الى وقوع الحرب ، فيصبح بذلك المرحلة التى تسبق مرحلة الحرب .

٤ - فن الاستراتيچية :

الاستراتيچية هى مصطلح أجنبى ، من أصل يونانى ، كانت تعنى فن الأشياء أو الخطط العامة ، ثم أصبحت تعنى فن قيادة القوات العامة اليونانية .

وقد كثر استخدام كلمة استراتيچية فى المعاهد العسكرية الحديثة ، خاصة فى القرن التاسع عشر ، وقد تطور مضمونها وزادت أهميتها بعدما كانت حتى نهاية القرن الثامن عشر عبارة عن مجموع وسائل الخداع والتضليل التى يعتمدها القائد العسكرى فى مواجهة خصمه .

---

(١) د . عزيز شكرى ، « مدخل الى القانون الدولى العام » ، جامعة دمشق ، بدون تاريخ ، ص ٤٩٧ .

(٢) « نظريات السياسة الدولية » ، م . س . ص ٢١٣ .

عرّف الجنرال الالمانى «كارل كلاوزفيتز » الاستراتيچية ، فى القرن التاسع عشر ، بأنها « فن استخدام المعارك كوسيلة للوصول الى هدف الحرب » (١) . والحرب عند «كلاوزفيتش » هى استمرار للسياسة بأساليب أخرى ، أو أن هدف الحرب هو هدف سياسى .

ويعرّف المفكر الانكليزى « ليدل هارت » ، فى القرن العشرين ، الاستراتيچية بأنها « فن توزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة » (٢) .

لذلك ، فإن التعريف الشائع للاستراتيچية ارتبط الى حد بعيد ، ولفترة طويلة ، بالتخطيط العسكرى فى الحرب . وباتت الاستراتيچية تعنى عند بعض العلماء فن ادارة العمليات العسكرية فى كلياتها أثناء الحرب . وأن الحرب هى متابعة للسياسة، أى لتحقيق هدف سياسى ، ولكن بوسيلة أخرى: إنها الاستراتيچية (٣) .

وقد تطور استخدام مصطلح الاستراتيچية فى القرن العشرين ، وتعدى نطاق العمليات العسكرية فى الحرب ، ليصبح « علم وفن وضع الخطط العامة المدروسة بعناية والمصممة بشكل متلاحق ومتفاعل ومنسق لاستخدام الموارد لتحقيق الأهداف الكبرى » (٤) . أى أن الاستراتيچية تخطت النطاق العسكرى فى مدلولها ، لتشمل كذلك مجالات اقتصادية وسياسية متعددة ، فغدت التطبيق العلمى للسياسة فى أكثر من مجال (٥) ، أو أنها الخطط العامة لتطوير المجتمع ، أو الكيان السياسى من جميع الوجوه (٦) . ومع تطور وتشابك العلاقات السياسية الدولية ، واضطراد

---

(١) ليدل هارت ، « الاستراتيچية وتاريخها فى العالم » ترجمة الهيثم الأيوبى ، بيروت / دار الطليعة ، ١٩٦٧ ، ص ٣٩٧ .

(٢) م . س ، ص ٣٩٩ .

(٣) « مدخل الى علم العلاقات الدولية » ، م . س . ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٤) « موسوعة السياسة » ، الجزء الأول ، م . س . ص ١٦٩ .

(٥) يراجع : د . أمين محمود عبد الله ، « دراسات فى الجغرافية السياسية للعالم المعاصر »، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٨ ، ص ١٩ .

(٦) يراجع : د . عبد المنعم عبد الوهاب ، « جغرافية العلاقات السياسية » ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، بدون تاريخ ، ص ١٦٧ .

التقدم التكنولوچى المعاصر ، تحول مفهوم الاستراتيچية الى معنى أكثر شمولا .من هنا فإن وضع الاستراتيچية من قبل القيادة السياسية ، بات يفترض التنبه الى عوامل عديدة مؤثرة فى القرار السياسى ، كالموقع الجغرافى أو الجغرافيا السياسية ، والقدرة الاقتصادية المتوافرة، والأهمية السياسية القائمة، والاعتبارات المعنوية والنفسية المتصلة بالرأى العام الشعبى ، بالاضافة الى القوة العسكرية الموجودة (١) . لذلك كله أصبح تعريف الاستراتيچية أكثر شمولا ، وفى ذلك يقول الچنرال الفرنسى المعاصر «أندريه بوفر » (A. Beaufre) عن الاستراتيچية :

« الاستراتيچية هى فن استخدام مجموعة الوسائل السياسية والعسكرية لخدمة الأهداف الرئيسية لبلد معين فى مرحلة زمنية محددة ، وفى ظل حوار الارادات التى تستخدم القوة لحل خلافاتها » (٢) .

مهما تطور مفهوم الاستراتيچية ، فإنه يبقى متمحورا الى حد بعيد حول القوة العسكرية ، أى فى الميدان الحربى ، فضلا عن تضمن هذا المفهوم الاستراتيچى لأهمية القدرة الذاتية عند القائد السياسى والعسكرى لبلوغ أهداف الاستراتيچية ، أى فن القيادة . من هنا كانت معظم التعريفات تشير إلى أن الاستراتيچية هى فن . وهى كذلك علم – كما تشير التعريفات المعاصرة – بعدما ارتبطت النشاطات والأعمال السياسية والحربية بالعلوم والتكنولوچيا . ولعل فى هذه الاشارة دلالة على أن السياسة هى علم وفن فى آن معا ، وخاصة فى مجال الحرب .

ب – السلم والدبلوماسية

يتجاذب العلاقات الدولية وجهان أساسيان هما الحرب والسلم ، ذلك لأن هذه العلاقات هى مجموعة متداخلة من أشكال التنازع والتعاون التى تفرضها المصالح الدولية المتبادلة . والتنازع يؤدى الى وقوع الحرب ، بينما يوطد التعاون بين الدول السلم الدولى ، بعدما أثرت زيادة الاتصالات وتقدم المواصلات فى تعزيز العلاقات

---

(١) لمزيد من التفاصيل ، يراجع : محمد كمال عبد الحميد ، « الشرق الأوسط فى الميزان الاستراتيچى » ، مكتبة الانجلو المصرية ، بدون تاريخ ، ص ٤ – ١٦ .

(٢) إبراهيم العابد ، « مدخل الى الاستراتيچية الاسرائيلية » ، بيروت ، مركز الابحاث – منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٧١ ، ص ٩ .

بين الدول ، وبعدما أدى التقدم الصناعى والتكنولوچى المعاصر الى بروز أشكال متعددة من التعاون والتكامل فى الجهود الدولية .

إن برنامج الدولة فى المجال الخارجى ، أو على المستوى الدولى ، هو ما يعرف بالسياسة الخارجية . أى أن السياسة الخارجية تمهد لما سوف تحققه الدولة فى مجالى الحرب والسلم ، والسياسة الخارجية تندرج فى اطار الأعمال الفنية للدولة بالدرجة الأولى ، فضلا عن ضرورة مواكبتها لتطور العلوم . أى أننا نقترب هنا مجددا من فن السياسة ، وإن كان صانعو قرارات السياسة الخارجية يلمّون بالسياسة كعلم ، أى أنهم يعلمون حقيقة الظواهر الدولية القائمة . بذلك ترتبط العلاقات الدولية بالسياسة الخارجية الى حد بعيد ، فى مجالى الحرب والسلم ، خاصة وإن السياسة الخارجية باتت دلالة من دلالات قدرة الدولة وقوتها فى المجتمع الدولى .

١ - عوامل واتجاهات فى السياسة الخارجية :

هناك عوامل متشابكة مؤثرة فى تحديد السياسة الخارجية للدولة ، أو فى عملية اتخاذ القرارات الخارجية . وهذه العوامل ناتجة عن تفاعل بين البيئة الداخلية والبيئة الخارجية ، وما فيهما من وقائع وضغوط ومصالح متعارضة . فالبيئة الداخلية ، وما فيها من عناصر مادية : جغرافية ، واقتصادية وعسكرية ، وعناصر انسانية ناتجة عن الأوضاع الاجتماعية القائمة ، والأوضاع السياسية الموجودة فى ظل النظام السياسى والأحزاب السياسية والجماعات المؤثرة فى توجيه الرأى العام (١) .... مؤثرة فى تحديد السياسة الخارجية .

والبيئة الخارجية بكل أبعادها وحقائقها ومؤثراتها ، سوف تؤثر بالتأكيد فى عملية تحديد السياسة الخارجية . وقد زاد تأثير البيئة الخارجية بعدما ازدادت الاتصالات وأوجه التعاون والنشاطات الدولية الحديثة والمعاصرة . لذلك يجدر

---

(١) د . محمد إبراهيم الحلوة ، « العلاقات الدولية : دراسة فى العوامل والظواهر وصنع القرار» الرياض ، جامعة الملك سعود ، ١٩٨٧ ، ص ١٨٧ .

وانظر : كينث تومبسون وروى مكريدس ، « نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها » ، ترجمة د . حسن صعب ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، ١٩٦٦ ، ص ٣٣ و ٣٤ .

بالسياسة الخارجية ، بعد معرفة حقائق البيئتين الداخلية والخارجية ، أن تحدد أولوياتها بما يتناسب مع هذه الحقائق ، وبما يضمن مصالح الدولة المعنية وظروف المجتمع الدولى . أى أن تضع الدولة بدائل متعددة لتسهيل اتخاذ القرار السياسى فى ميدان العلاقات السلمية .

عرف الفكر الغربى نهجين فى السياسة الخارجية منذ الثورة الفرنسية ، نهج أيديولوچى ونهج تحليلى . النهج الأيديولوچى يفترض أن تعبر السياسة الخارجية عن المعتقدات السياسية والاجتماعية والدينية السائدة ، أى أنه نهج مثالى يصنّف السياسات الخارجية بين ديمقراطية واستبدادية واشتراكية وعدوانية ومحبة للسلام .

والنهج التحليلى يفترض أن هنالك مقومات لتحديد السياسة الخارجية كالموقع الجغرافى والمصالح الوطنية واحتياجات الأمن ..... ، أنه نهج واقعى .

كما عرفت السياسة الدولية عدة اتجاهات للسياسة الخارجية ، أولها الاتجاه الى التعاون الذى تبلور فى اقامة الاحلاف والتكتلات بين مجموعة دول تريد تكريس قيم سياسية معينة ، أو مواجهة تهديد عسكرى محتمل ، أو تحقيق تقدم اقتصادى واجتماعى منشود . وثانيها الاتجاه الى سياسة العزلة القائمة على تراجع مستوى تفاعل الدولة مع المجتمع الدولى ، وعزوف الدولة عن بناء قوة عسكرية هجومية ، واكتفائها بالامكانات الاقتصادية المتاحة أمامها . وقد اتجهت بعض الدول نحو سياسة العزلة لتفادى الدخول فى الحروب ، كما ساعد الموقع الجغرافى بعض هذه الدول فى انتهاج سياسة العزلة كما هو حال الولايات المتحدة الأمريكية التى تبنت هذه السياسة حتى الحرب العالمية الثانية .

وقد برزت فى منتصف القرن العشرين سياسة عدم الانحياز لتشكل اتجاها ثالثا فى السياسة الخارجية ، اعتمدتها دول العالم الثالث بغية عدم دعم كتلة معينة من الكتل المتنافسة والمتصارعة دوليا ، وللتحرر من السيطرة الاستعمارية القديمة والجديدة .

٢ - فن الدبلوماسية :

فى العلاقات الدولية السلمية ، تبرز الدبلوماسية كوسيلة ، أو أداة لتنفيذ السياسة الخارجية . أنها الاسلوب القائم على التفاوض فى سبيل الاقناع ، عوضا عن الالتجاء الى أسلوب العنف . وقد قيل فى تعريف الدبلوماسية :

« الدبلوماسية هى فن وضع برامج السياسة الخارجية موضع التنفيذ بالتفاوض »(١) .

أو أن الدبلوماسية هى « عملية التمثيل والتفاوض التى تجرى بين الدول فى غمار إدارتها لعلاقاتها الدولية »(٢) .

إذا كانت الاستراتيچية تعنى فن ادارة العمليات الحربية أثناء الحرب ، فإن الدبلوماسية تعنى بالمقابل فن التفاوض والتعامل السلمى مع الدول والمنظمات الدولية ، فى اطار العلاقات السلمية ودون اللجوء الى الحرب . ولذلك فإن الاستراتيچية والدبلوماسية يكملان معا تنفيذ السياسة الخارجية ، ويرتبطان معا بفن السياسة ، طالما أن طبيعتهما تستوجب هذا التصنيف الفنى ، مع الاشارة الى ضرورة الاستفادة من علم السياسة فى مجالى الاستراتيچية والدبلوماسية . إن التكامل والتعاون بين الدبلوماسية والاستراتيچية هما من ثوابت السياسة الخارجية ، فالدبلوماسية الفعالة هى تلك التى تدعمها فى جميع المراحل الادوات العسكرية والاقتصادية والاعلامية ، وغيرها من أدوات السياسة الخارجية . وقد طرأت على فن الدبلوماسية تطورات متلاحقة ومؤثرة فى السياسة الخارجية ، وبالتالى فى السياسة الدولية .

٣ - تطور الدبلوماسية :

تطور فن الدبلوماسية خلال العصور التاريخية المتعاقبة ، وقد عرفت الانسانية التعامل الدبلوماسى ، والعلاقات الدبلوماسية ، منذ مرحلة ما قبل الميلاد ، وإن كانت بمفاهيم وبوسائل مختلفة عما أصبحت عليه فى العصر الحديث . فمنذ سنة ٨٠٠ قبل الميلاد اهتم اليونانيون ببعثاتهم الدبلوماسية ، وعرفوا دور السفراء حيث

---

(١) « مدخل الى علم العلاقات الدولية » ، م . س . ص ٩٣ .

(٢) « العلاقات الدولية . دراسة فى العوامل والظواهر وصنع القرار » ، م . س . ص . ٢١٦ .

أطلقوا عليهم اسم « الكبار » ، واوجدوا جهازا منسقا لتسيير شئون علاقاتهم الدولية ، ووضعوا نظاما لممارسة الاتصالات الدبلوماسية . ولطالما دعوا الى ايجاد مبادئ واضحة وثابتة فى العلاقات الدولية ، فدعوا – على سبيل المثال – الى التمسك بمبدأ العلنية فى اجراء المفاوضات والتوقيع على المعاهدات وذلك تجنبا للوقوع فى دسائس المعاهدات السرية (١) .

وعرف الرومان الحصانة الدبلوماسية الممنوحة للسفراء بمقتضى القانون الرومانى ، وكان مجلس الشيوخ الرومانى يقوم بمهمة تعيين السفراء – أو الرسل – وتزويدهم بالتعليمات ، واعتماد مبدأ تثبيت العقود فى العلاقات الدولية (٢) ، ثم أسهم البيزنطيون فى تطوير فن الدبلوماسية ، وأدخلوا هذا الفن الى المدن الايطالية ، ثم الى كافة أوروبا ، وكان حكام البندقية أول من نظّم الوثائق الدبلوماسية وقاموا بتصنيفها . ولقد اتجه الايطاليون لاحقا ، ومنذ القرن السادس عشر ، الى تزويد سفرائهم بنوعين من التعليمات ، نوع للممارسة العلنية ، وآخر للاستعمال الخفى بغية تسهيل التجسس (٣) ، انسجاما مع تعاليم « مكياڤيللى » الذى أسس قاعدة « الغاية تبرر الوسيلة » فى العلاقات الدولية .

بالاضافة الى ما قدمه الأوروبيون للفن الدبلوماسى ، طبق العرب مبادئ أساسية فى السلم والحرب متصلة بنشاط دبلوماسى يقوم على ارسال الموفدين ، أو المبعوثين للأطراف الخارجية . فمن مبدأ الأمان مع العدو ، الى مبدأ العهد مع أهل الكتاب ، الى مبدأ الصلح بعد تحقيق الهدنة أو الموادعة . وقامت اتصالات ، ومفاوضات راقية بين العرب وبين عدد من القادة والملوك منذ عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم– وحتى الحروب الصليبية ، حيث تشهد العلاقات الحضارية بين صلاح الدين الأيوبى والقائد الصليبى ريتشارد قلب الأسد على تلك الاتصالات والمفاوضات ، وتبين أن مبدأ المفاوضة والتعاون السلمى كان قائما وبارزا .

---

(١) « الدبلوماسية عبر العصور » ، م . س . ص ٨ – ٣٤ .
(٢) م . س . ص ٢٨ – ٣٦ .
(٣) م . س . ص ٥٦ .

يعتبر بعض مؤرخى التاريخ الدبلوماسى أن الدبلوماسية ظهرت فى مفهومها الحديث منذ منتصف القرن الخامس عشر ، حينما بعث حاكم امارة « ميلانو » أول سفير ليقيم بصفة دائمة فى امارة « جنوه » وذلك فى عام ١٤٥٥ (١) . وكان ذلك التاريخ بمثابة ظهور ما سمى بالدبلوماسية التقليدية التى امتدت حتى الحرب العالمية الأولى ، والتى تعنى سيطرة القوى الأوروبية الكبرى على سير العلاقات الدولية الى حد كبير ، انطلاقا من فهم الغرب فى تلك المرحلة لطبيعة العلاقات الدولية القائمة - حسب اعتقاد الغرب - على اعتبار أوروبا أعظم وأهم قارة فى العالم ، وبالتالى اعتبار آسيا وأفريقيا منطقتى نفوذ لأوروبا ولنشاطها الاستعمارى وسوقا لتصريف منتجاتها . وقد أدى هذا الفهم الى بروز الاعتقاد السياسى بأن مصير الحرب والسلم مرهون بالدول الأوروبية الكبرى ، وأن الدول الصغرى هى مجرد ملحقات وتوابع للدول الكبرى (٢) .

ولقد انطلقت الدبلوماسية التقليدية فى حقيقة مضمونها من الفهم الأوروبى لدور الدولة ولطبيعة العلاقات الدولية . فالدولة ذات طبيعة عدوانية تميل الى التوسع الدائم والعلاقات الدولية هى علاقات قوى متصارعة ، وفى سبيل توفير القوة توظف كل الطاقات والامكانات وبوسائل متعددة . لذلك كانت استعراضات القوة العسكرية ، والتجسس ، والدعاية ، والسرية ، من أهم الأساليب التى قامت عليها الممارسات الدبلوماسية التقليدية (٣) . ولذلك كانت الدبلوماسية التقليدية تجمع بين فن الممكن ، وفن التوفيق ، وفن الاكراه ، أى أنها تبّرر اللجوء الى القوة فى العلاقات الدولية ، فهى تؤمن أصلا بسياسة القوة فى المجتمع الدولى . هذه السياسة مهدت الى ولادة ما عرف بنظام توازن القوى ، ليكون بمثابة أداة للدبلوماسية التقليدية .

---

(١) « العلاقات الدولية . دراسة فى العوامل والظواهر وصنع القرار » ، م . س . ص ٢١٦ .

(٢) « الدبلوماسية عبر العصور » ، م . س . ص ١١١ و ١١٢ .

(٣) د . اسماعيل صبرى مقلد ، « الاستراتيجية والسياسة الدولية » ، بيروت ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ١٩٧٩ . ص ٣١٥ .

يمكن القول ان النهاية التاريخية للدبلوماسية التقليدية كانت بعد الحرب العالمية الأولى ، ومع قيام عصبة الأمم ، بعدما طرحت قضية الاستعمار بالحاح فى المجتمع الدولى ، وبعدما وصل التقدم الاقتصادى والتنافس التجارى وسرعة الاتصال والمواصلات بين الدول الى درجة عالية مما مهد لنشوء الدبلوماسية الحديثة التى تعنى فى جوهرها الخروج من نطاق السرية ومحدودية الاتصالات والتأثير ، والدخول فيما يمكن تسميته بالدبلوماسية الشعبية التى يزداد فيها تأثير الرأى العام ، وتتعدد معها مصادر التأثير فى صنع القرار السياسى ، بمثل ما تتعدد القوى (الأوروبية وغير الأوروبية) المؤثرة فى السياسة الدولية .

ثالثا : مفاهيم أساسية فى العلاقات الدولية

رغم صعوبة حصر وتحديد المفاهيم السائدة فى العلاقات السياسية الدولية ، والتى وجدت عبر فترات زمنية طويلة ومتباعدة ، إلا أن هذه الدراسة ، تتوقف عند أبرز هذه المفاهيم التى شاعت فى مضمار العلاقات بين الدول ، والتى كانت – ومازالت – محور اهتمام معظم علماء السياسة وأساتذة العلاقات الدولية .

ينقسم هذا الفصل الى ثلاثة مباحث عن مفاهيم سياسة القوة ، وتوازن القوى ، وعلاقة المصالح القومية بالنظام الدولى ، وفق التقسيم التالى :

أ – المبحث الأول : القوة في السياسة الدولية .

ب – المبحث الثاني : توازن القوى والأحلاف والكتل .

جـ – المبحث الثالث : المصالح القومية والنظام الدولى .

أ - القوة في السياسة الدولية

مفهوم القوة ، كان - ومازال - ، من أبرز المفاهيم القديمة والحديثة فى السياسة الدولية ، انطلاقا من التركيز الدائم الذى عرفه الفكر السياسى حول قوة الدولة على الصعيدين الداخلى والخارجى ، وما يعنينا فى هذا المبحث دراسة قوة الدولة على الصعيد الخارجى ، أو بمعنى آخر دراسة فعالية الدولة فى المجتمع الدولى .

١ - سياسة القوة

يعتبر المفكر الانكليزى « توماس هوبز » من أهم الغربيين الذين دعوا إبان النهضة الأوروبية الى تحديد معنى القوة فى وجود الدولة وعلاقاتها الخارجية ، فاعتبر أن هناك تناقضا جوهريا بين المجتمع الدولى والمجتمع الداخلى - الوطنى - فى القرن السابع عشر ، إذ أن المجتمع الوطنى منظم بينما يعانى المجتمع الدولى من الفوضوية نتيجة غياب سلطة موحدة تملك وسائل القوة ، وقال فى ذلك :

« العلاقات بين الدول ترتكز على علاقات قوة ، وليس على علاقات حق . فهى تخضع للعبة المصالح الوطنية . وأن المجتمع الوطنى كامل ومنظم بينما المجتمع الدولى فوضوى ومجزأ » (١) .

ومضى الفكر الغربى فى تبرير استخدام القوة ، وتصويرها أساسا للعلاقات الدولية، واضفاء صفة الشرعية عليها . وفى القرن العشرين ومازالت سياسة القوة هى الأساس، يقول « ريمون آرون » :

« لقد بحثت عما يشكل خاصية ، أو خصوصية العلاقات الدولية ، واعتقد أننى لمست ذلك فى مشروعية وشرعية استخدام القوة من طرف الممثلين » (٢) . والممثلون هنا هم ممثلو الدولة ممن يقبضون على السلطة .

ومن أشهر المدافعين عن سياسة القوة « هانس مورغانثو » الذى اعتبر فى كتابه «السياسة بين الأمم » بأن السياسة الدولية هى صراع من أجل القوة ، وأن

---

(١) دانييل كولبار ، « العلاقات الدولية » ، ترجمة خضر خضر ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٨٠ ، ص ١٢ .

(٢)

Aron. Raymond , " Qu'est - ce qu' une théorie des relations internationales " , R . F . S . , 1967 , P. 843 .

هنالك علاقة بين القوة والتأثير . بمعنى أن القوة تعنى ، فيما تعنى ، السيطرة على عقول وأعمال الآخـرين ، أى أن للقوة صفة نفسـية – سـيكولوچية – كما يقول «مورغانثو » (١) . وخلاصة أفكار « مورغانثو » حول سياسة القوة هى فى أن السياسة الدولية ليست إلا الصراع من أجل القوة ، وأن هذا الصراع مستمر وثابت فى الزمان والمكان .

ويتحدث بعض أساتذة العلاقات الدولية عن أهمية دور السياسة الداخلية للدولة فى تدعيم سياسة القوة التى تمارسها على الصعيد الدولى ، ومن هؤلاء وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية « هنرى كيسنجر » الذى أكد على أهمية العوامل الايديولوچية – الفكرية – فى حشد إمكانات الدولة وتجنيدها فى المجال الدولى ، ويعطى مثالا على ذلك ما حققته الثورة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر عندما إستطاعت امتلاك قوى وإمكانات عظيمة سمحت لها بمقاومة قوى خارجية كبرى (٢) .

ولا شك فى أن هذا التركيز فى الفكر الغربى على سياسة القوة أدى الى تراجع مبدأ الحق فى العلاقات الدولية ، ففى ظل ما سمى بالمنهج الواقعى توارى مبدأ الحق وتقدمت سياسة القوة .

٢ – عوامـل القـــوة :

تتعدد عوامل قوة الدولة وتتنوع ، فهى عوامل مادية وغير مادية ، أو هى بمعنى آخر عوامل طبيعية وعوامل اجتماعية . ومن هذه العوامل على سبيل المثال : الموقع الاستراتيچى ، السكان ، الموارد الطبيعية ، نظام الحكم ومؤسساته ، الوحدة الوطنية ، التطور التكنولوچى ، الرأى العام ، الدبلوماسية ، مستوى التسلح . ويمكن تصنيف عوامل القوة فى مجموعتين أساسيتين :

---

(١)
Hans Morganthau , " Politics Among Nations " , New York , 1963 p. 26 , and 27 .

(٢) د . هنرى كيسنجر ، « مفهوم السياسة الخارجية الأمريكية » ، اعداد د . حسين شريف ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ ، ص ٢٠ .

● مجموعة العوامل الطبيعية .

● مجموعة العوامل الاجتماعية .

تشمل مجموعة العوامل الطبيعية العامل الجغرافى ، والعامل السكانى أو الديمغرافى ، والموارد الطبيعية .

يعتبر العامل الجغرافى من أهم هذه العوامل وأبرزها ، نظرا لارتباط الدولة بالأرض أو الاقليم الجغرافى . وحدد « فريدريك راتزل » أبرز مؤسسى علم الجغرافيا السياسية ، بأن فكرة الدولة لا تنفصل عن فكرة الاقليم الجغرافى (١) . وقد أخذ هذا العلم يتطور لكشف مدى علاقة الجغرافيا بسياسات الدول ، خاصة وأن لخصائص المناخ والتضاريس والمياه وغيرها من عناصر البيئة الجغرافية أثراً جليا فى سياسات الدول . وأن هذه العناصر تؤثر مباشرة فى تحديد الاستراتيچية ، أو فى تحديد الدبلوماسية فى المجال الدولى . وبالتالى فان للبيئة الجغرافية أهمية فى بلورة علم «الچيوبولتيك » الذى يختص بدراسة التأثير الجغرافى فى السياسة الدولية .

قبل الحديث عن أهم علماء الجغرافيا السياسية وعن أبرز أفكارهم ، نشير الى أن ابن خلدون سبق العلماء الأوروبيين بقرون عندما تحدث عن أهمية العامل الجغرافى فى حياة الدول ، فتحدث فى فصل « فى أن كل دولة لها حصة من الممالك والاوطان لا تزيد عليها » وعن أهمية العاصمة ، أو مركز الدولة ، فى السلم والحرب ، قال ابن خلدون :

« الدولة فى مركزها أشد مما يكون فى الطرف والنطاق . وإذا انتهت الى النطاق الذى هو الغاية عجزت وأقصرت عما وراءه ..... وإذا غلب على الدولة من مركزها فلا ينفعها بقاء الاطراف والنطاق بل تضمحل لوقتها . فان المركز كالقلب الذى تنبعث منه الروح . فإذا غلب على القلب وملك انهزم جميع الاطراف ..... » (٢) مما يعنى أن سقوط العواصم فى الحروب سيقود الى سقوط الدول .

---

(١) « مدخل الى علم العلاقات الدولية » ، م ، س . ص ١١٤ .

(٢) « مقدمة ابن خلدون » ، م . س . ص ١٦٢ .

أخذت الجغرافيا السياسية ترتبط بالعلاقات الدولية ارتباطا وثيقا ، ليس من خلال دراسة التأثير الجغرافى فى واقع الدولة وسياستها وحسب ، بل كذلك من خلال دراسة أهمية الموقع الجغرافى للدولة – أو الموقع الاستراتيچى – فى العلاقات الدولية . فالدول البحرية مثلا تتمتع بقوة تجارية ، وبقدرة حربية على الدفاع والهجوم ، على عكس الدول الداخلية التى ليس لها منافذ بحرية والتى تعتبر دولا منعزلة تعانى من مشكلات اقتصادية ، ودفاعية . والدول التى تقع على ممرات استراتيچية مؤثرة فى الحرب والسلم كقناة السويس ، ومضيق باب المندب ، ومضيقى الدردنيل والبوسفور ، ومضيق جبل طارق ، وقناة بنما ... تتميز بأهمية موقعها الاستراتيچى ، وبالتالى تتركز العلاقات الدولية حولها سلما أم حربا (١) .

من أهم علماء الجغرافيا السياسية والچيوبولتيك ، فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، العالم الالمانى « كارل هوسهوفر » مؤسس مدرسة الچيوبوليتك ، الذى تحدث عن « المراكز الطبيعية للقوة ، واعتبر أن هناك جملة قوانين تحكم علاقة المعطيات الجغرافية بالسياسة الدولية ، وقد أسس « أدولف هتلر » أيديولوچية المجال الحيوى « l'espace vital » على أفكار « هوسهوفر » فى جانب كبير منها ، بحيث بات المجال الحيوى لألمانيا يمتد الى أوروبا الشرقية وجبال الأورال ، ويقال إن الاتفاق الإلمانى – الروسى الذى أبرم فى آب / أغسطس ١٩٣٩ كان بوحى من تعاليم مدرسة « هوسهوفر » (٢) . كما برز المفكر الانكليزى « هارلود ماكيندر »

---

(١) لمزيد من التفاصيل يمكن مراجعة

Yves Lacoste, " Questions de géopolitique", la découvert : et librairie génerale Française, Paris,1988.

(٢) لمزيد من التفاصيل يمكن مراجعة

Karl Haushofer," De la géopolitque ",Traduit par André Meyer, Paris, Fayard,1986. et.

Charles Zorgbibe,"Geólolitique contemporaine", serie (que sais-je?),No . 693, Paris, Presses universitaires de France,1986.

الذى وضع نظريته الجغرافية لخدمة الاستعمار البريطانى ، وللدفاع عن المصالح الامبراطورية البريطانية فى أوروبا والعالم . وقد نبه الى أهمية الموقع الذى تشغله روسيا ، واعتبر فى نظريته أن المجال الأوراسى (الأوروبى - الآسيوى) هو من الأرض بمثابة القلب ، وأن من يحكم أوروبا الشرقية يحكم قلب الأرض ومن يحكم قلب الأرض يحكم جزيرة العالم (المنطقة المحيطة بالقلب) . ومن يحكم جزيرة العالم يحكم العالم كله . وقد اعتبرت نظرية « ماكيندر » أن الصراع قائم بين امبراطورية البحر وامبراطورية البر ، وأن الغلبة هى لامبراطورية البر .

تعرضت نظرية « ماكيندر » للنقد ، استناداً إلى أن بريطانيا - الدولة البحرية - استطاعت أن تسيطر على أكثر من نصف العالم ، رغم أنها لم تحكم قلب العالم . وتعتبر النظريات الخاصة بالقوة البحرية هى المقابل الموضوعى لنظرية ماكيندر .

ومن أبرز هذه النظريات نظرية العالم الامريكى « الفرد ماهان » الذى كتب عن الاستراتيچية العسكرية البحرية ، واعتبر أن فى القوة البحرية تفسيرا للشطر الأعظم من التاريخ ، ورأى أن الولايات المتحدة الأمريكية ستصبح قوة عظيمة ، داعيا الى تعزيز قوتها البحرية ، ومستفيدا من دراسته لتاريخ البحرية الانكليزية واستخلاصه لمبدأ تركيز القوة البحرية ، أى اعداد أسطول بحرى ضخم لابقاء الموانئ الأمريكية مفتوحة أمام الملاحة البحرية . وأكد على ضرورة تفوق الولايات المتحدة فى البحر الكاريبى وفى المحيط الهـادى .

وتابع العالم الامريكى « نيكولاس سبيكمان » ما بدأه « ماهان » من نقد لنظرية « ماكيندر » ، فاعتبر أن من يحكم المناطق الساحلية يسيطر على جزيرة العالم ، وقال : « من يحكم منطقة الأطراف - السواحل - يحكم أوراسيا . ومن يحكم أوراسيا يتحكم فى أقدار العالم » (١) . ومن الملاحظ فى السياسة الخارجية للولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية ، التركيز على نشر أساطيلها البحرية فى البحر المتوسط والمحيط الهادى ، واقامة علاقات التحالف مع بعض الدول المحيطة بأوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتى ، وخاصة تلك التى تتمتع بمواقع استراتيچية . مما يدلل على الانسجام ما بين السياسة الأمريكية وأفكار « سبيكمان » .

---

(١) « جغرافية العلاقات السياسية » م ، س . ص ١٥٨ .

أدت مجمل الأفكار والنظريات المطروحة حول الجغرافيا السياسية الى طرح ما سمى مبدأ « الحتمية الجغرافية » ، أى أن للجغرافيا تأثيرا مؤكدا فى سياسة الدول يقود الى نتائج حتمية . غير أن مبدأ الحتمية الجغرافية تعرض للنقد الشديد ، خاصة مع استخدام عدد من الدول لهذا المبدأ لتبرير التوسع الجغرافى واحتلال أراضى الدول الاخرى ، وان كان هذا النقد لا يسقط دور العامل الجغرافى فى السياسة الدولية . بل يمكن القول ان العامل الجغرافى مازال قائما فى تأثيره رغم تطور وسائل المواصلات، ورغم قيام التكتلات الدولية الكبرى ، وان كثيرا من الأفكار والنظريات المطروحة فى حقلى الجغرافيا السياسية والعلاقات الدولية مترابطة ومتداخلة ، وهناك مصطلحات مشتركة فى هذين الحقلين ، وكل ذلك يدلل على أهمية العامل الجغرافى فى قوة الدولة وفى السياسة الدولية .

على صعيد آخر ، يطرح العامل السكانى ، أو الديمغرافى ، فى نطاق تحديد قوة الدولة ومدى تأثيرها فى المجتمع الدولى . غير أن الكم البشرى عامل متغير من عوامل قوة الدولة ، أى أنه غير ثابت ، وترتبط قيمته بكثير من العناصر الكيفية ، أو النوعية . مما يقود الى الاستنتاج بأن الكثرة البشرية ليست دليلا أكيدا على قوة الدولة ، فالشعب الصينى عانى من تراجع فعاليته فى السياسة الدولية قبل قيام الثورة الشيوعية وذلك رغم وفرة عـدده ، وقد استطاعت اليابان أن تجند جيشـا متفـوقا فى عـدده على الجيش الصينى فى حرب عام ١٨٩٤ ، برغم أن الصين كانت تتفـوق على اليابان سكانيا بمقدار ثمانية أضعاف. وقد تقف العوامل الاقتصادية ، أو التكنولوجية، أو السياسية وراء هذه الظاهرة وما يماثلها من ظواهر . فالحرب هى ظاهرة اجتماعية بالدرجة الأولى قبل أن تكون كما من الرجال والسلاح ، والحرب تسـتهدف دائما تأكيد القوة والفعـالية فى المجال الدولى ، كما يقول العالم الفرنسـى « غاستون بوتول »(١). أى أن العامل السكانى يؤثر بشكل أو بآخر فى الاسـتعداد للحرب .

---

(١) Gaston Bouthoul,Traité de polémologie payot, Paris,1970,p.179-180

أما الموارد الطبيعية فإنها تشكل عاملا فعالا فى تحديد قوة الدولة ، ويؤكد تاريخ الحروب أن الحصول على الموارد الطبيعية كان دافعا من دوافع الغزوات والحروب . هكذا اندفعت قبائل المغول فى القرون الوسطى متجهة من سهول أسيا الوسطى التى عانت من الجفاف نحو المناطق المحيطة بها طلبا للموارد الزراعية . وهكذا انطلقت الامبريالية مع انطلاق النهضة الأوروبية ، حيث ارتبط التوسع الامبريالى بظاهرة التجارة من أجل الثروة . ثم راح الأوروبيون يخوضون الحروب طلبا لمزيد من الثروة والمواد الأولية ، خاصة بعد تصاعد الثورة الصناعية فى القرن التاسع عشر ، وسخروها لتطوير صناعاتهم بعدما أوجدوا أسواقا جديدة لتصريف منتجاتهم فى البلدان المستعمرة (١) .

بالاضافة الى العوامل الطبيعية ، هناك العوامل الاجتماعية المحددة لقوة الدولة ، وهى عديدة ومترابطة ، نعرضها فى عاملين اجتماعيين هما الوحدة الوطنية والقيادة السياسية . فالوحدة الوطنية شرط لازم لبقاء الدولة وللحفاظ على قوتها ، وتعزيز الوحدة الوطنية هو تعزيز لقوة الدولة فى الداخل والخارج . ومتى قوى الشعور القومى عند أفراد الشعب تشتد الوحدة الوطنية ، وتقوم الدولة القومية بربط الوحدات المتناثرة اجتماعيا فى رباط وطنى وقومى متين . وكثيرا ما تضعف الانقسامات الطائفية والعشائرية والاقليمية الوحدة الوطنية الداخلية ، مما يؤدى الى اضعاف الدولة وتراجع تأثيرها فى المجال الدولى .

أما القيادة السياسية فانها أخذت تضطلع بمهام جسيمة على صعيد النظام السياسى للدولة ، بعدما توسعت صلاحيات الدول وخاصة منذ القرن التاسع عشر ، وأصبحت تشمل الشئون التربوية والصحية والاجتماعية وشئون المواصلات والطاقة ، فضلا عن الاعمال الحربية والنشاطات الدبلوماسية . ان فعالية القيادة السياسية

---

(١) دعا « هالفورد ماكيندر » فى عام ١٩٠٠ الى التوسع للحفاظ على مركز بريطانيا التجارى ، وقال : « لكى نبقى على مركزنا فى العالم ، ولأننا أكبر المقرضين ، نرى أنفسنا مدفوعين الى توسيع مملكتنا » .

يراجع : بيير رينوفان وجان باتيست وروزيل » ، مدخل الى تاريخ العلاقات الدولية ، (مترجم) ، بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٦٧ ، ص ٢١٣ .

تنعكس مباشرة على فعالية الدولة ، وبقدر ما تكون القيادة ذات خبرات علمية وفنية بقدر ما تزداد تلك الفعـالية . وكلما كان الهيكل التنظيمى للدولة متينا ومتماسـكا كلما إزدادت قوة الدولة لجهة توفر القدرة على اتخاذ القرارات ومتابعتها . وقد أخذ أسـاتذة العلاقات الدولية المعاصرة يركزون على ضـرورة إلمام القيادة السـياسية بالبيئـة الخارجية بكل أبعادها وحقائقها ومؤثراتها ، وبالبيئة الداخلية بكل ما فيها من أوضاع اجتماعية سائدة ، ومن منظمات غير حكومية وأحزاب سياسية مؤثرة فى الرأى العام . هذا التركيز على دراسة البيئتين الداخلية والخارجية ساعد على ظهور ما سمى بنظرية صنع القرار فى السياسة الخارجية ، وقد كان للمدرسة الأمريكية الدور الأول فى هذا المضمار .

تستعين نظرية صنع القرار بعلوم الاجتماع وعلم النفس ، فضلا عن استعانتها بعلم السياسة ، وهنالك نماذج متعددة لكيفية اتخاذ القرارات الخارجية ، تبين العوامل والمتغيرات المؤثرة فى عملية اتخاذ القرارات . من هذه النماذج ، نموذج « ريتشارد سنايدر » الذى يتضمن بحث الخيارات المتعددة عند اتخاذ القرار الخارجى من زاوية ارتباطها بالمقدرة على تحقيق الأهداف ، ودراسة عناصر ومكونات الحدث الذى يدفع الى اتخاذ القرار الخارجى ، ثم اتخاذ القرار الخارجى فى اطار البيئة التنظيمية التى تشتمل على متابعة مجموعة من الوقائع الضرورية (١) .

ان نظرية صنع القرار توضح أهمية وعمق الدور الذى تلعبه القيادة السياسية فى تحديد السياسة الخارجية ومتابعة تنفيذ قراراتها ، ومدى ما تؤثره فى قوة الدولة على مستوى السياسة الدولية .

٣ – نقد سياسة القوة :

بالرغم من أهمية سياسة القوة فى العلاقات الدولية ، إلا ان ادعاء النظريات الواقعيـة فى أن القوة هى الدافـع الأسـاسى الوحيد لحركة العلاقات الدوليـة على مر

---

(١) لمزيد من التفاصيل يراجع :

كاظم هاشم نعمة ، « العلاقات الدولية » ، م . س . ص ٣٧ – ٤٤ .

اسماعيل صبرى مقلد ، « نظريات السياسة الدولية » ، م . س . ص ١٥٠ – ١٨٦ .

التاريخ كان ادعاء معرضا للنقد . فهناك عوامل أخرى غير القوة ، قد تكون عوامل روحية مثلا – غير مادية – مؤثرة فى السياسة الدولية . فضلا عن صعوبة تحديد القوة وقياسها عند بحث السياسات الدولية ، وسط تضارب المفاهيم المختلفة للقوة وصعوبة التمييز بين تلك المفاهيم .

لعل سياسة القوة تنسجم مع المفاهيم الغربية للعلاقات الدولية ، حيث انطلقت هذه المفاهيم من الفلسفة السياسية التى نشأت فى الغرب ، و تطورت فى عصر النهضة الأوروبية لتبلغ ذروتها إبان الثورة الصناعية وما ولدته من مفاعيل ومتغيرات فى مسار السياسة الدولية ، بحيث أصبحت تمارس سياسة القوة بمعزل عن الحق والعدل ، وهذا ما ينسجم أصلا مع جوهر المنهج الواقعى والنظريات الواقعية التى عرفتها العلاقات الدولية فى حين نجد علاقة وطيدة بين القوة والحق فى الحضارات الشرقية ، ومنها الحضارة العربية حيث أن القوة أداة الدفاع عن الحق ، فالقوة تصبح ضرورة لتكريس الحق ، وليست هى غاية فى ذاتها . بل ان تكريس القيم الانسانية فى العلاقات الدولية ، ومنها قيمة الحق ، هو من القواعد المعروفة .

ب – توازن القوى والأحلاف والكتل :

توازن القوى ، أو بتعبير أخر ميزان تعادل القوى ، هو ظاهرة مستمرة ملازمة للعلاقات الدولية منذ نشأتها . وقد اعتقد « أرسطو » أن التوازن مصون فى المدينة اليونانية بين الأغنياء والفقراء والطبقة المتوسطة ، وأن هذا التوازن سيحقق الاستقرار الاجتماعى والسياسى .

١ – مفهوم توازن القوى:

يقوم مفهوم توازن القوى على مبدأين أساسيين هما : العمل على زيادة القوة الذاتية للدولة كى تتوازن مع قوة دولة أخرى ، والعمل على إضعاف القوى المنافسة للدولة . ويفترض توازن القوى وجود عدد كبير من الدول المتفاوتة فى قواها ، والتى تشكل مجتمعة ما يعرف بالمجتمع الدولى . هذا التفاوت فى القوى يدفع بعضها الى

اقامة تحالفات أو محاور قوى متكافئة بغية التقليل من احتمالات الحرب ، وزيادة فرص السلام ، وحماية استقلال الدول المنضوية فى المحاور المتقابلة .

عرف مفهوم توازن القوى شكلين من التوازنات ، توازن القوى البسيطة الذى يقوم بين دولتين . وتوازن القوى المركبة الذى يقوم بين مجموعة دول تتوزع على طرفين متقابلين (١) ، وهو ما يعرف باسم توازن القوى المتعددة الاطراف . وارتبط مفهوم توازن القوى بصورة دائمة بسياسة القوة فى العلاقات السياسية الدولية ، باعتباره أداة تنظيم الصراعات الدولية أو تنظيم صراعات القوى بحيث يسود الاستقرار فى المجتمع الدولى . وتعرض هذا المفهوم للنقد من عدد من المفكرين الذين طالبوا بتأسيس العلاقات الدولية بين الأمم على أساس القانون ، وليس على أساس القوة الذى دعا اليه « مكيافيللى » مشرع استخدام القوة فى كل أشكالها بما يتلاءم مع ارادة الحاكم . ومن أبرز المطالبين بالأساس القانونى كان أحد مشرعى القانون الدولى فى القرن السابع عشر ، العالم الفرنسى « غروتيوس » الذى اعتبر توازن القوى بمثابة السياسة الخطرة والمدمرة فى العلاقات الدولية (٢) .

يمكن القول بأن معاهدة « وستفاليا » قد عززت سياسة توازن القوى بين الدول الأوروبية منذ القرن السابع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى . وعند توقيع هذه المعاهدة كانت هناك ثلاث دول أوروبية كبرى هى هولندا والسويد والنمسا ، أخذت تتراجع وتضعف لتتقدم بريطانيا التى حافظت على سياسة التوازن داخل أوروبا ، وكانت بمثابة القوة الكبرى التى تصون سياسة التوازن ولفترة طويلة . وعلى أثر هزيمة «نابليون بونابرت » فى القرن التاسع عشر ، تحالفت بريطانيا وروسيا والنمسا وبروسيا ، أى الدول الأوروبية الكبرى بعد هزيمة فرنسا ، لتعيد تنظيم أوروبا ، فى عام ١٨١٤ ، على قاعدة توزيع القوى ، وبالتالى للمحافظة على السلام الأوروبى . وظلت سياسة توازن القوى ، أو السلام المسلح ، هى القاعدة المسيطرة على العلاقات الدولية

---

(١) د . محمد عزيز شكرى ، « الأحلاف والتكتلات فى السياسة الدولية » ، الكويت سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٧ ، ١٩٧٨ ، ١٨٥ .

(٢) « موسوعة السياسة » ، الجزء الرابع ، م . س . ص ٣٣٨ .

والمسيرة لها طوال القرن التاسع عشر ، رغم اندلاع حرب القرم سنة ١٨٥٣، وحروب الوحدة الألمانية بعد سنة ١٨٦٥ ، وحرب البلقان فى أوائل القرن العشرين . وفى الشرق الأقصى حافظت اليابان على سياسة التوازن مع روسيا على الصعيد الآسيوى، فاعتبرت اليابان أن منشوريا وكوريا يمثلان الخط الدفاعى للمصالح الاستراتيچية اليابانية فى الصين ، وتعاملت مع روسيا على هذا الأساس . ولما انطلقت الظاهرة الاستعمارية الاوروبية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، مع تقدم الثورة الصناعية ، جرت اعادة توزيع القوى الأوروبية فى أواخر القرن التاسع عشر على قاعدة توزيع الأراضى المستعمرة ومناطق النفوذ بين الدول الأوروبية الكبرى فى اطار سياسة توازن القوى .

ورغم تأكيد عصبة الأمم على مبدأ الأمن الجماعى فى القرن العشرين لصيانة السلم الدولى ، ورغم اعادة تأكيد هذا المبدأ من قبل الأمم المتحدة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، فان سياسة توازن القوى ظلت مفهوما سائدا فى العلاقات السياسية الدولية ، يكفى القول ان سياسة توازن الرعب النووى التى مارستها كل من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى -سابقا- فى ظل الحرب الباردة أتت لتؤكد استمرار سياسة توازن القوى وان كانت بمقومات جديدة . وقد طرحت نظريات معاصرة فى اطار مفهوم توازن القوى ، منها نظرية العالم الامريكى « مورتون كابلان» الذى دعا الدول الكبرى لأن تضاعف امكاناتها ، وألا تلغى دور إحدى الدول الكبرى ، وأن تلجأ الى التفاوض بدل القتال ، وأن تعارض كل تكتل يطمح الى السيطرة على العالم ، وأن تقبل بمبدأ تنظيم العلاقات الدولية من خلال منظمة الأمم المتحدة . واذا كانت نظرية « كابلان » المتفائلة قد تعرضت للنقد ، الا أنها أتت لتدلل على استمرار السياسة الدولية فى تركيزها على مفهوم توازن القوى ، وضرورة تطويره بما يتلاءم مع المتغيرات الدولية الجديدة . ويثور جدل نظرى واسع الآن حول ما إذا كانت هذه المتغيرات التى أفضت الى بروز الدور القيادى الامريكى فى النظام الدولى تنطوى على ارهاصات لتوازن قوى جديد .

٢ – مفهوما الحلف والكتلة :

يرتبط قيام الأحلاف والكتل بين الدول بمفهوم توازن القوى الى حد كبير ، حيث تعمد دولة معينة أو مجموعة دول الى مواجهة المخاطر الأمنية والاقتصادية عبر اقامة حلف أو كتلة يحققان الغايات الدفاعية ويعالجان المشكلات الاقتصادية . فالأحلاف والكتل هى نوع من حشد الامكانات للدول الأعضاء فى اطار أهداف مشتركة .

يعرّف قاموس العلوم السياسية الحلف بأنه « علاقة تعاقدية بين دولتين أو أكثر ، يتعهد بموجبها الفرقاء المعنيون بالمساعدة المتبادلة فى حالة الحرب . وسياسة الأحلاف هى بديل لسياسة العزلة التى ترفض أية مسئولية عن أمن الدول الأخرى ، وهى تتميز كذلك عن سياسة الأمن الجماعى التى تعمم ، من حيث المبدأ ، مبدأ التحالف حتى تجعله عالميا بحيث تردع أى عدوان وتتصدى له عند الضرورة [١] . وفى هذا التعريف ربط بين قيام الحلف وبين حالة الحرب .

كما أن الحلف قد يعنى « الاتفاق بين دولتين أو أكثر على تدابير معينة لحماية اعضائه من قوة أخرى معينة تبدو مهددة لأمن كل من هؤلاء الأعضاء » [٢] . وهنا نجد مبررا لإقامة الحلف فى ضرورة توفير الأمن الدفاعى للدول الأعضاء .

والحلف يكون مؤقتا ، وينشأ غالبا وقت الحرب حيث تتولد مصلحة مشتركة بين مجموعة من الدول تدفعها الى التحالف . وكلما كانت أهداف الحلف واضحة ومحددة كلما كانت فرص نجاحه أكثر ، وفرص استمراره أكبر ، مثل تحالف بريطانيا والبرتغال منذ سنة ١٧٠٣ لتحقيق هدف محدد يتمثل فى قيام بريطانيا بحماية شواطئ البرتغال ، على أن تسيطر بريطانيا على مداخل المحيط الاطلسى الهامة [٣] . وبقدر ما يتفق أعضاء الحلف على السياسات التفصيلية لتنفيذ الأهداف الأساسية ، بقدر ما تزداد فعالية الحلف . وغالبا ما تستند الأحلاف فى قيامها الى وجود اتفاقيات دولية تضفى الصفة القانونية على مضمونها .

---

(١) Joseph Dunner. Dictionary of Political science, vision press Ltd London, 1965, p.16.

(٢) « مدخل الى علم العلاقات الدولية » ، م . س . ص ٢٥١ .

(٣) « الاحلاف والتكتلات فى السياسة العالمية » ، م . س . ص ١٦ .

من أهم الحوافز لاقامة الحلف حصول تغيير مفاجئ فى الوضع العسكرى ، قد يحمل تهديدا خطيرا لدولة أو لمجموعة من الدول ، مما يدفعها نحو اعتماد أسلوب فعال لحماية أمنها وللدفاع عن وجودها ، فتلجأ الى التحالف . ومن الأسباب المؤدية الى انقضاء الحلف ، هزيمة أحد أطرافه ، أو رفضه الالتزام بمعاهدته ، أو بروز تغيير جديد فى السياسة الداخلية لبعض أطرافه ، أو حدوث متغيرات كبرى فى العلاقات الدولية من شأنها أن تؤثر فى واقع ومستقبل الأحلاف القائمة .

إذا كان قيام الحلف قد ارتبط بحالة الحرب ، فان قيام الكتلة يرتبط بحالتى الحرب والسلم معا . فالكتلة هى عصبة عسكرية واقتصادية وسياسية ، وقد تكون أيديولوجية - فكرية - تتجه نحو تحقيق التكامل السياسى والاقتصادى والأمنى بين أعضائها من الدول ، تحت زعامة دولة رائدة فى الكتلة تكون بمثابة الدولة القطبية المؤثرة فى قيادة وتوجيه سائر الدول المنضوية فى الكتلة . ومن المؤكد أن تعاظم القوة التدميرية الهائلة التى يملكها العالم فى القرن العشرين ، ساهم فى بروز الكتل الدولية عبر سياسة سباق التسلح وضرورة الحفاظ على توازن القوى الدولية لصيانة السلم والأمن الدوليين ، وتلك سياسة معاصرة برزت بعد الحرب العالمية الثانية (١) .

قد تنشأ الكتل الدولية لدوافع اقتصادية تمليها أزمات اقتصادية طارئة ، أو ضعف عدد من الدول فى تحقيق أهدافها وبرامجها الاقتصادية وبالتالى بروز الحاجة عندها الى تحقيق التكتل الاقتصادى فيما بينها .

٣ - نماذج من الأحلاف والكتل :

من أقدم الأحلاف فى العالم ذلك الحلف الذى نشأ سنة ١٢٨٠ ق . م . بين ملك مصر رمسيس الثانى وملك الحيثيين ختيسار بعد حروب طاحنة بينهما ، فكرس السلام بين الطرفين والتحالف بين الملكين . وقضت معاهدة التحالف بينهما بالامتناع عن شن

---

(١) ماكس بيلوف ، « أبعاد جديدة فى السياسة الخارجية » ، ترجمة محمد جعفر ، مراجعة د . إبراهيم جمعة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٩٦ .

الغارات على الحدود ، وأن يعمد كل فريق الى تسليم الآخر القادمين اليه من الرعايا دون أن يمسهّم بسوء .

وعرف اليونانيون بعض الأحلاف لرد الخطر الخارجي كحلف « أركاديا » ، وبعد انتصار اليونان على الفرس نشأ حلف الأثيني الذى يضم مدن بحر إيجه لتأمين سلامتها . وكان يمكن أن ينشأ حلف شامل يضم كافة المدن اليونانية لولا المنافسة الدائمة بين مدينتى أثينا واسبارطة (١) .

وفى أوروبا لم تنشأ كتل موحدة فى برامجها السياسية ، رغم وحدة الدين والثقافة واللغة اللاتينية الفصحى ، فقامت صراعات بين الممالك الأوروبية فى القرون الوسطى . وفى القرن التاسع عشر نشأت فى عام ١٨١٥ كتلة على أساس أيديولوچى بين الملكيات الأوروبية المنتصرة على نابليون ، وهى بريطانيا والنمسا وبروسيا وروسيا ، وقد عرفت باسم الحلف المقدس ، او التحالف المقدس ، وتهدف الى الحفاظ على مبدأ الحقوق الشرعية للملكيات الأوروبية فى مواجهة المبادئ والأفكار الشعبية التى كانت قد طرحتها الثورة الفرنسية ، والعمل على قمع الثورات الشعبية التى أخذت تجتاح أوروبا . وفى عام ١٨٧٣ قام حلف بين ملوك المانيا والنمسا وروسيا لتحقيق التعاون العسكرى بين الملكيات الثلاث فى حالة وقوع عدوان على إحداها من الجمهوريات المجاورة ، وكانت لهذا الحلف أبعاد فكرية بالاضافة الى طابعه العسكرى .

ورغم طرح مبدأ الأمن الجماعى من خلال المنظمات الدولية فى القرن العشرين ، فان الاحلاف والكتل استمرت قائمة ، واتخذت أبعادا أيديولوچية عميقة ، كما اتخذت أهدافا اقتصادية وسياسية ، فضلا عن غايتها العسكرية . ولعل أهم هذه الأحلاف والكتل : حلف شمال الاطلسى ، وحلف وارسو .

حلف شمال الأطلسى هو كتلة (الكتلة الغربية) قامت فى ٤ نيسان (ابريل) ١٩٤٩، بمشاركة ١٣ دولة من الدول الأوربية والأمريكية ، ومعظمها يقع على الشواطئ الشمالية للمحيط الأطلسى ، وهى : الولايات المتحدة الأمريكية ، كندا ، ايسلندا ،

---

(١) بيير جيريبه ، « المنظمات الدولية » ، ترجمة محمد أحمد سليمان ، مراجعة د . حسن الأشمونى ، القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٣ ، ص ٢٢ و ٢٣ .

النرويج ، بريطانيا ، هولندا ، الدنمارك ، بلچيكا ، البرتغال ، فرنسا ، ايطاليا ، اليونان ، تركيا ، ثم انضمت المانيا الغربية الى هذا الحلف فى عام ١٩٥٤ . أما السبب الأساسى الذى يدفع الى اعتبار هذا الحلف بمثابة الكتلة أيضا فهو فى طبيعته السياسية والأيديولوچية ، حيث تزعمته الولايات المتحدة الأمريكية أو ما سمى قيادة العالم الحر .

كذلك ، فان حلف وارسو هو كذلك كتلة (الكتلة الشرقية) ، حيث تزعم الاتحاد السوفييتى -سابقا- ، ما سمى قيادة الكتلة الاشتراكية ، هذا الحلف الذى تأسس فى عام ١٩٥٥ لمواجهة حلف شمال الاطلسى ، وقد ضم كلا من الدول : الاتحاد السوفييتى، بلغاريا ، تشيكوسلوفاكيا ، المانيا الشرقية ، بولندا ، المجر ، رومانيا . وكان الدافع الأبرز لتأسيس هذا الحلف الرغبة فى احداث توازن فى القوى بين دول غرب أوروبا ودول شرق أوروبا .

بالاضافة الى حلف شمال الاطلسى وحلف وارسو ، قامت أحلاف أخرى فى مناطق متعددة من العالم كحلف جنوب شرقى آسيا ، والحلف المركزى وغيرها من الأحلاف والتكتلات الدولية المعاصرة ، وكلها كانت مرتبطة بمفهوم توازن القوى . وتعرض عدد منها – كما هو معلوم – لتغيرات جذرية فى اطار المتغيرات الدولية الجديدة . وصلت الى حد التفكك الكامل لحلف وارسو فى أعقاب انهيار المعسكر الاشتراكى فى أوروبا .

جـ – المصالح القومية والنظام الدولي :

الظاهرة القومية هى من أهم الظواهر المؤثرة فى العلاقات الدولية ، إن لم يكن أهمها على الاطلاق ، وهى مرتبطة بوجود الأمة من حيث نشأتها وتطورها ومن حيث العمل على تحقيق مصالحها وأهدافها . وطالما كان يطرح السؤال : كيف نوفق بين المصلحة القومية للأمة وبين مصلحة المجتمع الدولى الذى يضم أمما متعددة بحيث يتحقق السلم والتعاون بين الأمم ؟

من المعروف أن الدولة القومية الحديثة قامت أثر معاهدة « وستفاليا » فى القرن السابع عشر ، وانطلقت تلك الدولة فى أوروبا بعدما وقع صراع مرير بين السلطتين

الزمنية والدينية ، ونشأت مع تطور النهضة الأوروبية وقيام الثورة الصناعية ، فأتت إما علمانية تدعو إلى فصل الدين عن الدولة ، أو إلحادية مناهضة للدين كليا ، وحملت فى أهدافها نزعات توسعية على حساب العالم الثالث للسيطرة على ثرواته المادية ولتسخيرها فى خدمة الاقتصاد الاوروبى . فى هذا الاطار ، ساهمت الثورة الفرنسية باطلاق الشعور القومى ، ثم ظهرت الحركات القومية بين عامى ١٨١٥ و ١٨٤٨ ، وتركزت فى المانيا وايطاليا وأدت الى قيام وحدتهما القومية ، كما أخذ الشعور القومى يظهر فى اليابان خلال القرن التاسع عشر ، ثم امتد الى الصين والهند فى أواخر ذلك القرن بعد احتكاكهما بالغرب الأوروبى .

وتجدر الاشارة الى أن الشعور القومى والحركات القومية وجدا قبل النهضة الأوروبية والحركات القومية الأوروبية فى عدد من المناطق فى العالم ، فمن المعروف أن الأمم الصينية والهندية والفارسية والعربية وغيرها وجدت وتبلورت شخصيتها القومية قبل القرن التاسع عشر ، ومنذ القرون الوسطى تحدث الكاتب العربى الكبير أبو عثمان الجاحظ عن روابط العرب ، وعن شخصيتهم القومية ، فقال على سبيل المثال :

« قلنا ان العرب لما كانت واحدة ، فاستووا فى التربة ، وفى اللغة والشمائل والهمة ، وفى الانفة والحمية ، وفى الأخلاق والسجية ، فسبكوا سبكا واحدا ... » (١) . وفى هذا القول دلالة على العوامل القومية الموحدة للعرب .

وبينما عملت الحركات القومية الأوروبية على تحقيق الوحدة القومية بعد انهيار النظام الاقطاعى ونمو البرجوازية الصناعية ، وسعت الى ايجاد أسواق تجارية لها ومواد أولية لصناعتها فى الأمم النامية . نهضت الحركات التحررية القومية بالمقابل فى العالم الثالث لمواجهة الاستعمار الاوروبى ، ولم تكن مماثلة للحركات القومية الاوروبية فى خصائصها وأهدافها ، بل اتصفت بالتحررية المناهضة للوجود الاستعمارى (٢) .

---

(١) د . عبد العزيز الدورى ، « التكوين التاريخى للأمة العربية » ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٤ ، ص ١٠٧ .

(٢) د . عدنان السيد حسين ، « العامل القومى فى السياسة المصرية » ، بيروت دار الوحدة ، ١٩٨٧ ، ص ٢٢ - ٢٤ .

يتضح مما تقدم ، أن للقومية دورا فاعلا ومستمرا فى العلاقات السياسية الدولية ، ولعل أبرز قضية طرحت ، وتطرح ، فى هذا الموضوع هى قضية المصالح القومية ، فما هو مضمونها ؟ وأين هو موقعها فى هذا المجال ؟

١ - مضمون المصالح القومية :

هناك مفاهيم متعددة ومختلفة للمصالح القومية كالقول بأنها « سعى كل دولة فى تأمين بقائها واستمراريتها وفى الحفاظ على هويتها »(١) .

أو « هى بمثابة القوة الدافعة والمحددة لاتجاهات السياسات الخارجية للدول »(٢) .

مهما تعددت تعريفات المصالح القومية ، فانها تنطوى على أهداف مشتركة عند الدول أخذت تتبلور فى سياساتها الخارجية ، وأهمها :

* حماية السيادة الوطنية والقومية برد العدوان الخارجى والدفاع عن الوحدة الداخلية ، أى تحقيق الأمن .
* تنمية قدرات الدول وزيادة فعاليتها الدولية .
* الدفاع عن معتقدات الدول وعن مبادئها .
* الدفاع عن السلام الدولى ، واعتماد القوة التسليحية سبيلا الى هذه الغاية .

أما ربط هدف التوسع الاقليمى بالمصالح القومية ، فانه ليس ثابتا وليس مطلقا ، فالقومية الالمانية التى وصلت مع الحركة النازية إلى مرحلة التوسع الاقليمى ، لا تتماثل مع القوميات التحررية فى الأمم النامية التى تريد التخلص من الاستعمار وتأكيد شخصيتها ومصالحها فى المجتمع الدولى . ومهما انطوت المصالح القومية على مفاهيم مادية ، كمفهوم القوة القومية المؤدى إلى تأكيد النفوذ السياسى للدولة فى المجتمع الدولى ، فإنها قد أخذت مكانا بارزا فى قائمة المفاهيم الأساسية للعلاقات الدولية ، فضلا عن أنها قائمة من حيث الواقع حتى عند الدول التى تنكر القومية والمصالح القومية ، وهى واقـــع موضـــوعى اســتمر مؤثرا فى مســـار العلاقات الدولية . ومما

---

(١) « موسوعة السياسة » ، الجزء الرابع ، م . س . ص ١٤٦ .

(٢) د . اسماعيل صبرى مقلد ، « الاستراتيجية والسياسة الدولية » ، م . س . ص ١٠ .

يعزز من بقاء مفهوم المصالح القومية ، اتجاه الدول المعاصرة الى التمسك بمصالحها ومعتقداتها ، رغم قيام المنظمات الدولية فى القرن العشرين ، وبالتالى قيام نظام دولى جديد يختلف عما سبقه ، ورغم تقلص المسافات بين الأمم والشعوب وتقدم حركة المواصلات والاتصالات الدولية فالمصالح القومية ذات تأثير قوى وثابت فى النظام الدولى ، فما هى أسس وطبيعة هذا النظام الدولى ؟

٢ – تطور النظام الدولى :

النظام الدولى ، أو النسق الدولى ، هو « الانتظام الآلى الواقعى لمجموعة معينة من قوى دولية فى زمن معين » (١) . القوى الدولية هى مجموعة الدول التى ظلت تشكل الجماعة الدولية ، او المجتمع الدولى ، منذ معاهدة « وستفاليا » وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى . وقد أضيف عليها المنظمات الدولية والاقليمية ، ثم الشركات المتعددة الجنسيات وحركات التحرر الوطنى وغيرها من القوى المؤثرة فى النظام الدولى . إن هذه القوى الدولية ترتبط فيما بينها بعلاقات منتظمة ومتكررة ، مما يحدد النظام الدولى فى طبيعة معينة .

أما « ريمون آرون » فإنه يعتبر النظام الدولى « مجموع الوحدات السياسية ، ذات العلاقات المنتظمة والقابلة للتشابك فى حرب عامة » (٢) . مما يربط النظام الدولى – عند آرون – دائما بالحرب والسلم .

ومن المعروف أن النظام الدولى استمر منذ القرن السابع عشر وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية تحت السيطرة الأوروبية ، أى أن القوى الدولية الأوروبية هى التى سيطرت عليه ، وقد قيل النظام الدولى الأوروبى تدليلا على الصفة الأوربية . ففى زمن

---

(١) « مدخل الى علم العلاقات الدولية » ، م . س . ص ٢١٦ و ٢١٧ .

لمزيد من التفاصيل عن النظام الدولى يراجع :

Cahiers dela fondation nationale des sciences politiques, Relations internationales-126, Paris,1964.

(٢) R. Aron, " Paix et Guerre entre les nations ", Paris,1962, p.101.

معاهدة « وستفاليا » ، كانت الدول الكبرى المهيمنة على النظام الدولى كل من هولندا ، والسويد ، النمسا ، لكنها تراجعت فى قوتها لتتقدم بريطانيا فى القرن الثامن عشر ، ثم لتبرز دول « الحلف المقدس » فى عام ١٨١٥ بعد هزيمة « نابليون » وهى :بريطانيا، النمسا بروسيا ، روسـيا ، ثم أصبحت أقطاب النظام الدولى فى نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين : فرنسا ، المانيا ، روسيا ، انكلترا ، النمسا والمجر وايطاليا . ومن الملاحظ فى جميع هذه المراحل كيف أن النظام الدولى امتاز بقيام دولتين قويتين متنافستين ، أو مجموعتين من الدول تقود كل منهما دولة قوية وتتنافسان للسيطرة على أوروبا . مع الاشارة هنا الى استثناء وقع مع « نابليون » الذى خاض حروبا ضارية لتحقيق الامبراطورية العالمية بزعامة فرنسا ، وتكرر ذلك مع « هتلر » الذى أراد تحقيق السيطرة الكاملة على أوروبا ، وقد أخفق الاثنان فى اقامة الامبراطورية العالمية .

لذلك قيل بالنظام الدولى المتعدد الاقطاب الذى كان سائدا قبل الحرب العالمية الثانية ، وكانت أقطابه من الدول الأوروبية رغم تقدم اليابان كقوة كبرى ، وبروز دور الولايات المتحدة الأمريكية فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وكانت نظرية توازن القوى هى التى تتحكم فى مسار النظام الدولى الأوروبى .

ولذلك قيل بعد الحرب العالمية الثانية بنظام القطبية الثنائية ، بعدما سيطر الاتحاد السوفييتى -سابقا- والولايات المتحدة الامريكية على قيادة النظام الدولى ، وظهر تأثيرهما فى العلاقات السياسية الدولية سواء فى مرحلة « الحرب الباردة » أم فى مرحلة « الوفاق الدولى » . ويعتبر تاريخ سقوط الاتحاد السوفييتى -سابقا- كصيغة سياسية اتحادية نهاية لنظام القطبية الثنائية (١) .

هناك تصنيف آخر للنظام الدولى على أساس الطبيعة السياسية والفكرية ، فيقال نظـام دولى متجانس كما كان حال النظـام الدولى الأوروبـى حيث تتجـانس الأنظمة

---

(١) أعلن الرئيس السوفييتى السابق ميخائيل جورباتشوف فى ديسمبر (كانون الأول) ١٩٩١ عن نهاية اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية كصيغة فدرالية ، وقدّم استقالته من الحكم وأعلن تخليّه عن كافة مسئولياته الرسمية .

السياسية للدول الأوروبية ، التى كانت تقوم فى الداخل على أساس سيادة الأمير ، وفى الخارج على مبدأ الشرعية وحق العروش الأوروبية فى تقرير مصائر الأقاليم والشعوب . ويقال نظام دولى غير متجانس كما هو الحال فى ظل القطبية الثنائية بعد الحرب العالمية الثانية حيث يختلف الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة فى الفكر والسياسة .

استمر مبدأ توازن القوى مسيطرا على النظام الدولى ، تحققه الأقطاب الدولية الكبرى ، وبعد الحرب العالمية الأولى طرحت فكرة الأمن الجماعى التى تجسدت فى «عصبة الأمم » كمنظمة دولية جديدة ، ثم تجسدت فى « منظمة الأمم المتحدة » فى أعقاب الحرب العالمية الثانية . وقد خطت الجماعة الدولية بذلك خطوة أساسية على صعيد الأمن الدولى عندما أوجدت اطارا للأمن على أساس جماعى أو دولى عام ، وأصبحت قضية الأمن الدولى مسئولية دولية جماعية .

هناك اتجاه دولى يشدد على أهمية النظام الدولى ، منذ خلال طرح نظرية الجماعة الدولية التى تدافع عن المجتمع الدولى من حيث قدرته على الابتعاد عن العنف ، رغم الاختلافات والتناقضات السياسية ، خاصة وأن استخدام القوة فى المجتمع الدولى لم يعد مسألة سهلة بعد التقدم التكنولوچى الهائل ، وبعد التعقيدات التى طرأت على العلاقات الدولية فى كافة المجالات والميادين ، بحيث أن الدولة القومية لم تعد وحدها العامل المؤثر فى النظام الدولى ، بعدما ظهرت عوامل اضافية أهمها : المنظمات الدولية والاقليمية التى ضمت عددا كبيرا من الدول وراحت تتعاون فى شتى مجالات العلاقات الدولية ، والهيئات الدولية التى تجاوزت الاطار الوطنى والقومى لتشمل فى نشاطاتها وعضويتها دولا متعددة ، كالسوق الأوروبية المشتركة التى تأسست فى عام ١٩٥٨ ، وتطورت فى عام ١٩٧٣ بغية تحقيق هدف الوحدة الاقتصادية الأوروبية على طريق الوحدة السياسية . وتوصلت فى العام ١٩٩٢ الى إقرار معاهدة ماستريخت التى تتضمن اجراءات توحيدية للجماعة الاقتصادية الاوروبية والشركات المتعددة الجنسيات التى أخذت الطابع التجارى ، والتى تعود فى ملكيتها وادارتها وانتاجها وتسويقها الى أكثر من دولة ، وإن كانت الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية الأوروبية هى التى

أنشأتها ودعمتها لتحقيق أهداف سياسية دولية ، وبما يخدم المصالح والسياسات الغربية .

ان العالم يعيش نمطا جديدا من العلاقات السياسية الدولية ، حيث تتعدد القوى الدولية ، الحكومية والشعبية ، والقومية وغير القومية ، وكلها تفعل فعلها فى النظام الدولى ، أو النسق الدولى ، حيث أنه يتعقد بسبب العوامل المؤثرة فيه ، ولم يعد نظاما بسيطا محكوما فقط بالعامل الحربى ، والعامل الدبلوماسى ، وذلك نتيجة التطورات الاقتصادية والتكنولوجية والاعلامية المعاصرة .

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF THE ARAB RESEARCH AND STUDIES
مقر اتحاد المجامع العربية

المراجع

١ – القرآن الكريم .

٢ – د . أحمد سلويلم العمرى ، « أصول العلاقات السياسية الدولية » ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٩ .

٣ – ادوارد ميدايرك وآخرون ، « رواد الاستراتيچية الحديثة » ، ترجمة محمد عبد الفتاح ابراهيم ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٦ .

٤ – د . اسماعيل صبرى مقلد ، « نظريات السياسة الدولية » ، الكويت ، جامعة الكويت ، ١٩٨٢ .

٥ – د . اسماعيل صبرى مقلد ، « الاستراتيچية والسياسة الدولية » ، بيروت ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ١٩٧٩ .

٦ – أحمد عطية الله ، « القاموس السياسى » ، طبعة ثالثة ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٨ .

٧ – د . أمين محمود عبد الله ، « دراسات فى الجغرافية السياسية للعالم المعاصر» ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٨ .

٨ – إبراهيم العابد ، « مدخل الى الاستراتيچية الاسرائيلية » ، بيروت ، مركز الابحاث – منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٧١ .

٩ – د . بشير العريض ، « محاضرات عن تطور الأحداث » ، بيروت ، كلية الحقوق والعلوم السياسية فى الجامعة اللبنانية ، ١٩٦٧ .

١٠ – بيير لاينوفان وچان باتيست دوروزيل ، « مدخل الى تاريخ العلاقات الدولية»، ترجمة فايزكم نقش ، بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٦٧ .

١١ – بيير جيريبيه ، « المنظمات الدولية » ، ترجمة محمد أحمد سليمان ، مراجعة د. حسن الأشمونى ، القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٣ .

١٢ – تيسير العمر ، « العنف ، الحرب والجهاد » (رسالة جامعية) ، بيروت ، كلية الامام الأوزاعى للدراسات الاسلامية ، ١٩٩٠ .
١٣ – د . حسن صعب ، « علم السياسة » ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٢ .
١٤ – د . الحسان بوقنطار ، « العلاقات الدولية » ، الدار البيضاء ، دار توبقال للنشر ، ١٩٨٥ .
١٥ – د . حسن ابراهيم وآخرون ، « جولة فى السياسة الدولية » ، بيروت ، الدار المتحدة للنشر ، ١٩٧٥ .
١٦ – الخطيب الشربينى ، « مغنى المحتاج » ، ج ٢ ، القاهرة ، دار الاستقامة ، ١٩٥٥ .
١٧ – دانييل كولبار ، « العلاقات الدولية » ، ترجمة خضر خضر ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٨٠ .
١٨ – على صادق أبو هيف ، « القانون الدولى العام » ، ١٩٥٩ .
١٩ – د . عزيز شكرى ، « مدخل الى القانون الدولى العام » ، جامعة دمشق ، بدون تاريخ .
٢٠ – د . عبد المنعم عبد الوهاب ، « جغرافية العلاقات السياسية » ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، بدون تاريخ .
٢١ – د . عصمت سيف الدولة ، « عن العروبة والإسلام » ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٦ .
٢٢ – د . عبد العزيز الدورى ، « التكوين التاريخى للامة العربية » ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٤ .
٢٣ – د . عدنان السيد حسين ، « العامل القومى فى السياسة المصرية » ، بيروت، دار الوحدة ، ١٩٨٧ .
٢٤ – د. كاظم هاشم نعمة ، «العلاقات الدولية» ، الموصل دار الكتب للطباعة والنشر فى جامعة الموصل ، ١٩٧٢

٢٥ – د . عائشة راتب ، « العلاقات الدولية العربية » ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠ .
٢٦ – كينث تومبسون وروى مكريدس ، « نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها » ، ترجمة د . حسن صعب ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، ١٩٦٦ .
٢٧ – ليدل هارت ، « الاستراتيچية وتاريخها فى العالم » ، ترجمة الهيثم الأيوبى ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٧ .
٢٨ – لويس دوللو ، « التاريخ الدبلوماسى » ، ترجمة د . سموحى فوق العادة ، بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٧٠ .
٢٩ – « موسوعة السياسة » ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨١ .
٣٠ – د . محمد طه بدوى ، « مدخل الى علم العلاقات الدولية » ، بيروت ، الدار المصرية للطباعة والنشر ، ١٩٧١ .
٣١ – د . محمد طه بدوى ، « أصول علم السياسة » ، الاسكندرية ، المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ .
٣٢ – محمد أبو زهرة ، « العلاقات الدولية فى الإسلام » ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ .
٣٣ – محمد سامى عبد الحميد ، « أصول القانون الدولى العام » ، بيروت ، مكتبة مكاوى ، ١٩٧٧ .
٣٤ – ميكافيللى ، « الأمير » ، تعريب خيرى حماد ، بيروت ، المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر ، ١٩٦٠ .
٣٥ – « مقدمة ابن خلدون » ، بيروت ، دار القلم ، طبعة رابعة ، ١٩٨١ .
٣٦ – د . محمد المجذوب ، « محاضرات فى القانون الدولى العام » ، بيروت ، كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية فى الجامعة اللبنانية ، ١٩٧٨ .
٣٧ – د . محمد عزيز شكرى ، « الأحلاف والتكتلات فى السياسة الدولية » ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٧ ، ١٩٧٨ .

٣٨ – د . محمد إبراهيم الحلوة ، « العلاقات الدولية . دراسة فى العوامل والظواهر وصنع القرار » ، الرياض ، جامعة الملك سعود ، ١٩٨٧ .

٣٩ – محمد كمال عبد الحميد ، « الشرق الأوسط فى الميزان الاستراتيجى » ، مكتبة الانجلو المصرية ، بدون تاريخ .

٤٠ – ماكس بيلوف ، « ابعاد جديدة فى السياسة الخارجية » ، ترجمة محمد جعفر ، مراجعة د . إبراهيم جمعة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٤١ – د . هنرى كيسنجر ، « مفهوم السياسة الخارجية الأمريكية » ، اعداد حسين شريف ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٤٢ – هارولد نيكولسن ، « الدبلوماسية عبر العصور » ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، بدون تاريخ .

43 - The New Encyclopaedia Britannica, 15 Th ed . Chicago ; Encyclopaedia Britannica , 1978. vol. 9

44 - Marcel Prelot , la science politique , Paris , que sais -je, presses universitaires de France , No 909 , 1963 .

45 - La science politique contemporaine , contribution á la recherche de la méthode et l'enseigement, unesco , publication Nº 427 , 1950 .

46 - Aron. Raymond , " Qu'est - ce qu'une theorie des relations internationale " , R.F.S.P , 1967 .

47 - Hans Morganthau , " Politics Among Nations " , New York , 1963 .

48 - Yves Locoste , " Questions de géopolitique " , la découverte et librairie générale francaise , Paris , 1988 .

49 - Karl Haushofer , " De la géopolitique " , Traduit par André Meyer , paris , Fayard , 1987 .

50 - Charles Zorgbibe , " Géopolitique Contemporaine " , serie (que sais - Je) , Nº 693 , Paris , Presses universitaires de France , 1986 .

51 - Gaston Bouthoul , Traité de polémologie payot , Paris, 1970.

52 - Joseph Dunner , Dictionary of political science , vision press LTD . London , 1965 .

53 - Cahiers de la fondations nationale des Sciences Politiques , Relations internationales , 126 , Paris , 1964 .

54 - Aron . Raymond , " Paix et Guerre entre les nations " , Paris , 1962 .

★★★